Fax :91-522-2741221, 2741231 Regd. No. LW-NP/642012 To 2014 R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341)

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Issue:02 Vol: 58 August,September, 2012

اصدارات حديثة:

صور مشرقة للإسلام

خطب ارتجلها:

فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن علي الغامدي

(إمام الحرم المكي الشريف، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية)

قدم لها :

سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوى

الرئيس العام لندوة العلماء لكناؤ (الهند)

رتبه وخرج أحاديثه واعتنى به

محمد فرمان الندوي

ملتزم الطبع والنشر

الأمانة العامة لندوة العلماء لكناؤ الهند

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027.Lko

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

المجلد ٥٨

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثالث المجلد الثامن والخمسون ذوالقعدة ١٤٣٣هـ سبتمبر و أكتوبر ٢٠١٢م

- تعاليم الإسلام خالدة باقية نامية !
- من يرد الله به خيراً
- عدم التمايزبين الحاكم والرعية
- العقيقة في الإسلام
- لباس المرأة أمام المحارم
- مخالفات المناسك والحجاج

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221,2741231, e-mail : thealbaas@nadwatululama.org

١٠٥١١
١٨١٢٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها:
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٨

العدد الثالث- المجلد الثامن والخمسون - ذو القعدة ١٤٣٣هـ سبتمبر وأكتوبر ٢٠١٢م

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:
محمد فرمان الندوي
محمد عبد الله الندوي

مسئول مكتب المجلة:
أختر سهيل

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف فى العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجديد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزاد فيه ، ويحذف منه بحسب تطورات العصر ، وحاجات المسلمين وأحوالهم .

(سماحة العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢
AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow.
Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231 E-mail:nadwa@sancharnet.in

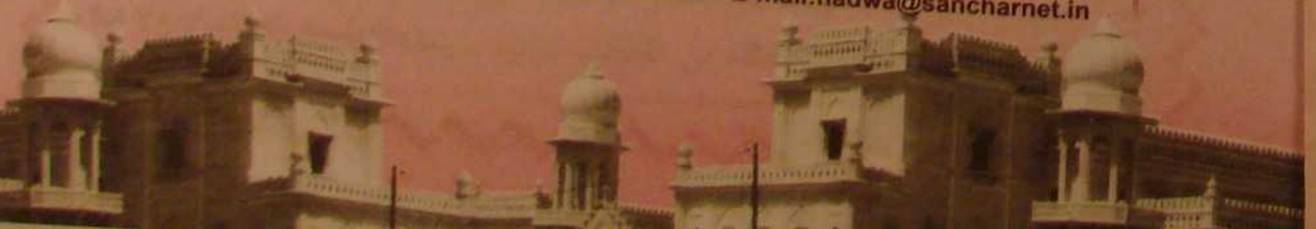

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة ٣٠٠/٠٠روبية
ثمن النسخة: ٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي
وفي جميع دول العالم:
٥٠ دولاراً بالبريد الجوي
أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة
بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:
باسم "البعث الإسلامي"
A/C 10863759846
(SBI LKO.MAIN BRANCH

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYA
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد الثالث- المجلد الثامن والخمسون - ذو القعدة ١٤٣٣هـ سبتمبر وأكتوبر ٢٠١٢م

الافتتاحية :

تعاليم الإسلام خالدة باقية نامية ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

مَن يرد الله به خيرا — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٧

عدم التمايز بين الحاكم والرعية — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ١٢

سفراء النبي الكريم ﷺ إلى الملوك والأمراء — الأخ محمد علي الوافي كرواتل — ٢٧

الدعوة الإسلامية :

العقيقة : في الإسلام — الأستاذ الدكتور محمد السيد علي بلاسي — ٣٦

لباس المرأة أمام المحارم — الأستاذ محمد نعمة الله إدريس الندوي — ٤٥

الفقه الإسلامي :

مخالفات المناسك والحجاج — أ. د. علي بن عبد العزيز بن علي الشبل — ٥٤

دراسات وأبحاث :

هل الرواية العربية ما بعد الحداثية عكس حقيقي ... — الدكتور بجيب الرحمن الندوي — ٦٥

الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي — الدكتور عرفات ظفر — ٧٥

من رجال التاريخ :

الإمام الشهيد حسن البنا — الدكتور إحسان الله خان الندوي — ٨٥

من كنوز القرآن الكريم :

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٩٥

إلى رحمة الله تعالى :

حرم شيخ الإسلام العلامة السيد حسين أحمد المدني رح — قلم التحرير — ١٠٠

والدة الأخ الأستاذ خالد فيصل الندوي — " " " — ١٠٠

الافتتاحية:

تعاليم الإسلام خالدة باقية نامية !

قراءة سريعة في الملفات الإدارية التي تتعلق بالمواد العسكرية التي تدرّس في دورات تدريبية عسكرية مما يُقام في المدارس والكليات العسكرية في أمريكا ، وخاصة في نيويورك ، نشرتها صحيفة (الجاردين Guardian) في عدد ١١/مايو من العام الجاري ٢٠١٢م ، وعبر تقارير عديدة نشرتها وكالة (الأسيوشيتد بريس) بين العامين ٢٠١١م و ٢٠١٢م ، تؤكد إقصاء الإسلام ومنهجه للحياة عن مسار الحياة الإنسانية وإلغائه بالكلية باقتلاع جذوره مهما كانت متعمقة ، فقد تغلغلت كراهية الإسلام في النفوس ، وداخل أروقة البوليس الأمريكي بوجه خاص ، الذي يزعم أن التهديد الواقعي للأمن القومي الأمريكي ينبع من الإسلام نفسه ، دون أيّ جهة أخرى ، ذاك أن منهج الحياة الإسلامي لا يترك البشر حراً في أيّ مجال للنشاط والعمل ، إنما يربطه برباط الإنسانية المقدس ، ويثير فيه الروح العالية من النصح ، والخير والحب والإيثار ، فتشتبك أجزاء الحياة الإنسانية بعضها ببعض ، وتتكون وحدة إنسانية تبشر بالأمن والثقة والعز والسعادة والسلامة والخير من كل نوع ، ويمثل العالم البشري مثالية لا قبل له بها قبل طلوع شمس الإسلام من أفق تهامة في الجزيرة العربية ، ذلك هو الدين الإسلامي الذي ملأ العالم كله بالعدل والمساواة والشعور بأن الناس كلهم من بني آدم وآدم لم يخلق إلا من تراب ، فكيف يتوافر هناك تفاضل وتفاخر بالأنساب ، وكيف يتصور تفاوت طبقي أو طائفي ، ما دام الإسلام بمناهجه الثابتة الإيجابية تسود المجتمعات البشرية على المستوى العالمي .

أما الغرب فإنه تهيباً من بشائر الإسلام التي تجذب القلوب ، وتهيئ قراراً للنفوس المضطربة القلقة من المطالب المادية ، يبرر كل ما في وسعه من

إمكانيات الهدم والتخريب واستفزاز عواطف المسلمين بافتراءات شنيعة نحو كتاب الله وإلغاء شريعته ، وهدم المقدسات الإسلامية في العالم العربي ، وقذف القنابل من الطائرات الحربية وقتل الأبرياء بالأسلحة الفتاكة في فلسطين مستهدفاً المسجد الأقصى من خلال الصهاينة وحكومتهم ، الواقع الذي يواجهه المسلمون في كل مكان بشيء كثير من الأسى وبالغ من الأسف ، والذي زاد الطين بلة هو أن الولايات المتحدة تخطط لحرب تدميرية شاملة ضد الإسلام والمسلمين وتصوب سهمها نحو أقدس البلدان الإسلامية يشملها مكة والمدينة والحرمان الشريفان اللذان يتصل بهما كل مسلم في العالم بمشاعر إيمانية عاطفية .

وأما موقف الأزهر الشريف من هذه الجراءة الوقحة المكروهة فإنه أدان بالحرب الشاملة ضد المسلمين ، وقد جاء فيما أدلى به شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب من بيان حول هذه القضية فقال :

"هاهم أولاء ينادون بإبادة أمة بأسرها هي الأمة المسلمة ، الأمة التي ترفض إبادة أي جنس بشري أو حيواني : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ * وَلاَ طَائِرٍ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ {الأنعام/٣٨} .

وأضاف : إن الأزهر الشريف وإن كان يترفع عن المهاترات وعن الهبوط للرد على مثل هذه الدعوات المريضة التي أفرزتها الحضارة المتعالية والنرجسية ، فإنه يرى من الضروري أن يقول كلمتين وجيزتين :

الأولى : إلى الشعوب الغربية : إننا نحن المسلمين والعرب لن نكرهكم ولن نحقد عليكم أبداً بل نرحب بالتعاون معكم في سبيل تحقيق الكرامة الإنسانية والسلام العالمي واحترام الندية والمساواة ، كما يأمر قرآننا وسنة نبينا الحبيب ﷺ : "الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله" وقد عرفنا خلال نصف القرن الماضي انحياز بعض قادتكم ومعاداتهم لحضارتنا ، وكيف أنهم يتجاهلون أو يجهلون دورها في بناءِ الحضارة الإنسانية بما قدمت من علوم ترجمت إلى لغاتكم وأسهمت في بناء عصر النهضة .

والكلمة الأخرى : إلى شعوب أمتنا الإسلامية والعربية ، التي تحترم الأديان ، وتقدر المقدسات وتؤمن بالأخوة الإنسانية ، ونقول لهم : حافظوا على روح السماحة التي أوجبها الله عليكم ولا تتزلقوا إلى مبادلة الكراهية بالكراهية ، ولا الظلم بالظلم ، وليتنبه الجميع لهذه المكائد الغريبة ولتدبير أولئك الهمجيين لإزالة وجودنا وكياننا .

إن الأزهر الشريف يوصي بالصبر والحذر : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ * وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ * وَمِنَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا * أَذًى كَثِيْراً * وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا * فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُوْرِ ﴾ {آل عمران/١٨٦} .

(المجتمع : عدد/٢٠٠٧)

لو لا أن الغرب كان يعاني من القلق النفسي واليأس القاتل من مستقبله ، ولولاه يعيش الأمراض النفسانية والعجز الفكري وفقر الثقافة لما أقدم على تخطيطات منوعة لإبادة الأمة الإسلامية ، وأن تنوع المخططات توشر إلى أنه يعيش قلقاً واضطراباً في التفكير فلا يعتم إلا وينتقل من مخطط إلى آخر من غير تريث أو انتظار ، ذاك أنه يريد أن تنجح مكايده بأسرع وقت ممكن ، وقد توصل المسكين بعد معاناة طويلة في سبيل تحقيق أحلامه المزعجة إلى توفير وسائل التدمير والحرب على العالم الإسلامي من خلال قواعد حربية قريبة منه حتى يمكن شن الحرب منها على الحرمين الشريفين (لا قدر الله أبداً) ويتحقق تدمير المدينتين المقدستين (أعاذنا الله منه) اللتين يتصل بهما المسلمون في العالم كله اتصالاً دينياً ، إيمانياً ، عقدياً وعاطفياً ، وهو يزعم أن وجود هذه الأمة في خطر وسرعان ما تنتهي ، ولا يبقى لها عين ولا أثر ، هكذا يزعم الغرب المسكين .

وقد تعرض عدد من الحضاريين المثقفين لمثل هذه الفكرة المعادية ضد العالم الإسلامي والمسلمين ومقدساتهم في الولايات المتحدة نفسها ، وتأكدوا أن ذلك كله ليس إلا لفقدانها ثقافة الفكر والعقل وتسرعها في الحكم في القضايا السياسية واتخاذ السلبية في الأيديولوجيات الدينية .

فهذا الدكتور بول كريج روبرتس ، يقول : "إن أمريكا دولة فقيرة الثقافة" وجاء في مقالة له بعنوان : هل تملك أمريكا ثقافة ؟ : إن الثقافة الأمريكية ثقافة شبابية تُعرف في حدود المتعة والترفيه والجنس ، وموسيقي الروك" ويقول : "إن هناك موشرات واضحة على أن العلمانيين من الشباب العربي لن ينتظروا طويلاً حتى يتحرروا من ثقافتهم التقليدية ، ويشاركونا ثقافة الإباحية والروك" (المجتمع الكويتية : عدد/٢٠٠٧)

إن هذا أدل دليل على أن الغرب بما فيه الولايات المتحدة متجه نحو الإباحية والهبوط الخلقي والثقافة المتسفلة ، دع الأخلاق الفاضلة والترفع الإنساني والتدقيق في العلوم الطبيعية والتأملات العلمية الدقيقة في الحقائق الكونية والكشف عن أسرار التقنية ، الأمر الذي لا يؤديه إلا إلى الإيمان بالقوة الخارقة وآيات الله الباهرة ، ولكنه يريد أن يضع جميع طاقاته و وسائله فيما يشغل الشباب بأمور تافهة وأنشطة هابطة لا علاقة لها بحاله ولا بمستقبله .. .. ويركز جهوده على هدم المعالم الإسلامية ، وإخراج هيبة الإسلام من قلوب المسلمين ، لكي تتأخر عجلة الحياة لديهم ، وتفقد الحضارة الإسلامية قيمتها ودورها ، في بناء الإنسان وقيادة العالم البشري ، وبالتالي يتناسى الناس الإسلام وحضارته ويرعوون كفاراً يقتل بعضهم بعضاً.

هذا ما يظنه الغرب وإن كان ذلك أمراً مستحيلاً ، فقد تولى الله تبارك وتعالى صيانة هذا الدين إلى أن تقوم الساعة ، وهو الذي يوفر جميع التسهيلات الطبيعية للإنسان ما دام له وجود في هذا الكون ، والله سبحانه قال في كتابه العظيم : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ * فَسِيْرُوْا فِيْ الأَرْضِ * فَانْظُرُوْا : كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَ * هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ * وَهُدىً وَّمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِيْنَ * وَلاَ تَهِنُوْا وَلاَ تَحْزَنُوْا * وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴾ . {آل عمران/١٣٧-١٣٩} .

وقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ * وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ ﴾ {الحجر/٩} .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٣٣/٨/١٨ ٢٠١٢/٧/٩م

مَن يرد الله به خيراً

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – المملكة العربية السعودية

كثيرون جداً ، هم الذين دخلوا الإسلام بصدق وإخلاص ، ويتأثر بعضهم من بعض بالمواقف التي انفتحت لها القلوب قبل الأبصار ، و وعاها الفؤاد قبل تلقفها بالآذان ، فبرأهم الله بحسن الاستجابة ، من صفة الأنعام ، من عدم الفهم والإدراك والغفلة ، فسعدوا في دنياهم بحسن الاتجاه إلى الله سبحانه ، والاستجابة لشرعه سبحانه ، محبة وعقيدة ، ثم عملاً ودفاعاً .. ونرجو لهم العاقبة الحسنة في أخراهم .

فكان لهم دور في الدعوة إلى دين الله في جماعتهم ، لأن ذلك أدعى للقبول ، فمنهم من استجاب عن قناعة وحُسن إدراك ، ومنهم من ابتعد وجحد عن معرفة ونكران ، والله جلّ وعلا يهدى من يشاء إلى الطريق الأقوم ، لمن أراد له الخير بحكمته البالغة .. ألم يقل جلّ وعلا : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيْراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ * لَهُمْ قُلُوْبٌ لاَّ يَفْقَهُوْنَ بِهَا * وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُوْنَ بِهَا * وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُوْنَ بِهَا * أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ * بَلْ هُمْ أَضَلُّ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُوْنَ ﴾ {الأعراف/١٧٩} .

إن الفارق في طريق الهداية ، ليس بالجسم ، ولا بالعلم الدنيوي ، ولا الذرية والقُدرة على الكلام والحِجاج ، لكنه بنور الهداية الذي يقذفه الله في قلب الإنسان ، ليعيَ ويتبصّر ، ويُدرك بما وهبه الله : الطريق السليم بدلائله ، ليتلمّس الخير ، الذي يحبّه الله ، وتدعو إليه رسائل أنبيائه ، بالمعالم الواضحة والعلامات المريحة ، حيث ترضى النفس ، وتطمئن القلوب .

ونماذج ذلك في تاريخ الإسلام ، كثير على مختلف العصور ، ومع مرور الدهور ، منه ما رصد ليكون عِبْرة وقُدوة ، ومنه ما انْطوى ذكره ، مدفوناً مع صاحبه الذي انقضى به عمره في الحياة الدنيا ، لأنه عرَفَ الطريق الـذي أراده الله له ، فسلكه براحة نفس ، وحُباً في هذا الخير ، الذي يحبه الله منه ، فـصار عابداً ناسكاً ، لا يُحب الظهور ولا إذاعة نعمة منحه الله إيّاها ، خوفـاً مـن مداخل الرياء والعُجْب بالنفس ، واستعلاء بما يقوم به من عمل ..

بل إن بعضهم إذا أحسّ بانكشاف ما يريد إخفاءه ، يـسأل ربـه أن يقبضه إليه ، كما حصل في سيرة رجال قال عنهم رسول الله ﷺ : "إن مـن عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء" .

ومن أمثال البراء : محمد بن واسع ، وأويس القُـرني وغيرهـم ، ممـن يستنجد بهم القادة في المعارك ، عندما يحتدم القتال ليأتوا إلـيهم ، ويطلبـون منهم الدعاء بنصر المجاهدين فـي سبيل الله ، وهزيمة أئمة الكفر ، فيـدعون بذلك ، ومن خوفهم الفتنة في الدين ، يُعقّبون بالدعاء لأنفسهم بالـشهادة ، كما حصل مع قتيبة بن مسلم ، لما تكاثر عليه التركمان و لم يـصله المـدد ، جنحت عن محمد بن واسع ، فإذا هو في صفوف الميمنة ، رافعـاً أصـبعه إلى السماء يدعو ربه ، فقال قتيبة : إن أصبع ابن واسع أفضل عندي من عـشرة آلاف رجل ، يقاتل في صفوف المسلمين ، وقد نصر الله جيش قتيبة بن مسلم الباهليّ ، وابن كثير رحمه الله في تاريخه ، وكذا الطبري ، ذكرا نماذج متعـددة من هذا النوع .

و لما كان اليهود في المدينة ، قد كذّبوا رسـول الله ﷺ ، و ظـاهروه العداء ، وكتموا ما عندهم من العلم ، عن رسالته عليه الصلاة والسلام ، فقد أراد الله سبحانه أن تكون فضيحتهم على يد رجل منهم ، له ولوالده مكانـة عندهم : علماً ورياسةً ، وحكمةً وعقلاً : إنه عبد الله بن سلام الإسـرائيلي ،

من بني القينقاع ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، كما ذكر ابن إسحاق في السيرة النبوية الذي أفاض في مواقف عداء يهود لرسول الله ﷺ ، وما حصل منهم من خيانات فضحتها آيات من كتاب الله ، كما في سـورة الحشر والصّف وغيرهما .

وقد ذكر قصّة إسلامه ، كل من كتب عن سيرته ، وهم لا يقلون عـن عشرين مصدراً، ومنهم الذهبيّ في موسوعته : سير أعلام النبلاء ، الجزء الثاني ، فقال : لعبد الله بن سلام إسلام قديم ، بعد أن قدم النبي الكريم ﷺ المدينـة ، وهو من أحبار اليهود ، وأورد بالسند إلى عبد الله نفسه قوله : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، انجفل الناس عليه ، وكنت في من انجفل ، فلما رأيته عرفت أنّ وجهه ، ليس بوجه كذّاب ، فكان أول شئ سمعته يقول : "أيّها الناس ! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلوا الأرحام ، وصلّوا بالليل والنـاس نيـام ، تدخلوا الجنة بسلام" ، وروى حميد عن أنس : أن عبد الله بن سـلام ، أتـى رسول الله ﷺ مقدمه إلى المدينة ، فقال : إني سائلك عن ثلاث ، لا يعلمها إلا نبيّ : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول ما يأكل أهل الجنة ؟ ومن أين يـشبه الولد أباه وأمه ؟

فقال رسول الله ﷺ : "أما أول أشراط الساعة : فنار تخرج من المشرق ، فتحشر الناس إلى المغرب ، وأما أول ما يأكله أهل الجنة ، فزيادة كبد الحوت ، وأما الشبه : فإذا سبق ماء الرجل نزع إليه الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ، نـزع إليها" قال : أشهد أنكَ رسول الله .

ثم قال : يا رسول الله ﷺ ! إن اليهود قوم بُهْت ، وإنهـم إذا علمـوا بإسلامي بهتوني ، فأرسل إليهم ، فسلْهُمْ عنّي ، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ ، فلما حضروا مع كبارهم وأحبارهم ، قال : " أيّ رجل ابن سلام فـيكم" ؟ قالوا : خيرُنا وابنُ خيرِنا ، وعالمنا وابن عالمنـا ، قـال : "أرأيـتم إن أسـلم

تسلمون ؟" قالوا : أعاذه الله من ذلك .

فخرج عليهم عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فقالوا : شرُّنا وابن شرّنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا ، فقال : يا رسول الله ﷺ ! ألم أخبرك أنهم قوم بُهْت ، وفي رواية أخرى عن أنس ﷺ قال : أقبل نبي الله إلى المدينة ، فقالوا : جاء نبي الله ، فاستشرفوا ينظرون ، وسمع ابن سلام ، وهو في نخل يخترف ، فعجّل قبل أن يضع التي يخترف فيها ، فسمع من النبي الكريم ﷺ ، ثم رجع إلى أهله ، فلما خلا رسول الله ﷺ ، جاء فقال : أشهد أنكَ رسول الله ، وأنك جئت بالحق ، ثم طلب من رسول الله ﷺ أن يُخفر اليهود ليسألهم عنه ، كما جاء في الرواية الأولى ، فقال لهم لما خرج إليهم : ويلكم اتّقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنّه رسول الله حقاً ، قالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول الله ﷺ {ص/٤١٤-٤١٦} .

وجاء في أسْد الغابة أن رسول الله ﷺ غيّر اسمه إلى عبد الله ، وأنه قال نزلتْ فيّ : ﴿ قُلْ : كَفَى بِاللهِ شَهِيْداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ * وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَاب ﴾ {الرعد/٤٣} وقوله : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ عَلَى مِثْلِهِ * فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ {الأحقاف/١٠} وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وتوفي عام ٤٣/من الهجرة . {أسد الغابة لابن الأثير : ج/٣ ، ص/٢٦٤-٢٦٥} .

من مواقف الملك عبد العزيز :

للملك عبد العزيز – يرحمه الله – مواقف شجاعة وجريئة ، وله نظرات في قضية فلسطين بعيدة الغور ، فقد ذكر الزركلي في كتابه : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز يرحمه الله {ص/١٢٩٢} : أنه في يوم ١٣٦٧/١١/٣٠هـ الموافق ١٩٤٨/١٠/٣٠م ، قابل السفير البريطاني بجدة ، الملك عبد العزيز ، وعرض عليه رأي الحكومة الإنجليزية (البريطانية) بأنّ الوضع العسكريّ في فلسطين ليس من مصلحة العرب ، ومن رأى حكومته : أن يقبل

العرب مشروع (برنادوت) فكان ممّا أجابه : هل قال لكم العرب : إننا ضعفاء ، أم أنتم الذين أخبرتم العرب على وقف الحرب ، فما يفعل العرب ؟ مساعدة لم تساعدوهم ، وإنصاف لم تنصفوهم ، وضمان لم تضمنوهم .

فماذا تطلبون مني أن أقول للعرب ؟ هل أقول سلّموا ؟

فقال السفير : إنّ حكومته بينها ، وبين العراق وشرق الأردن ومصر ، معاهدات دفاعية ، وإذا اعتدى اليهود على إحداها ، فحكومته مجبرة على الدفاع عنها .

فقال الملك : انتهينا الآن هؤلآء حلفاؤكم ، اتّفقوا معهم ، وألزموهم بالقبول ، أو عدم القبول ، وأنا لا دخل لي في الأمر ، كنت من قبل أحيل المسائل إلى الجامعة العربية ، والآن أنا أحيلها إلى حلفائكم ، فإن قبلوا فأنا معهم ، وإن لم يقبلوا فأنا معهم ، ولا يمكن أن أعرض عليهم شيئاً .

وعلّق على هذا القول ، فهد المارك في كتابه : من شيم الملك عبد العزيز قائلاً : كان عبد العزيز أبعد نظراً ، وأعلى شيمة ، ممن خدعهم العدوّ .

أليس يفهم من كلام السفير البريطاني ، أن الإنجليز الماكرين : أرادوا أن يوقعوا عبد العزيز بحيلة تحمّله مسئولية قبول الهدنة الدائمة ، وأن يجعلوا حلفاءهم بعيدين عن تحمّل المسئولية ؟!

مع العلم أن حلفاءهم أو عملاءهم ، الذين أورد أسماءهم السفير الإنجليزي ، هم الذين تبنّوا الهدنة الأولى ، التي بقدر ما كانت امتداداً لأجل إسرائيل ، كانت سبباً قوياً ، وعاملاً فعّالاً بسرعة للنتائج السيئة في القضية ، ثم قال :

والواقع الذي لا جدال فيه ، أنه لو لم تكن الهدنة الأولى ، لما كانت إسرائيل ، تبيّن ذلك ، مذكرات العقيد عبد الله التلّ {من شيم الملك عبد العزيز رحمه الله : ج/٢ ، ص/٢٢٥-٢٢٧} تأليف فهد المارك .

عدم التمايز بين الحاكم والرعية

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

لا يجب أن نغفل عن وجود علاقة بين تصرفات القائمين على السلطة سلباً وإيجاباً ، وبين تصرفات الرعية في كافة أمورهم الحياتية ، وتنعكس آثار هذه العلاقة على الحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للبلد عموماً ، وصدق رسول الله ﷺ ، حينما قال : "صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس أجمع ، هما العلماء والأمراء" فقد ربط حديث صلاح الرعية أو فسادها بصلاح الأمراء أو فسادهم ، وقال علي بن أبي طالب ﷺ : الناس بأمرائهم أشبه منهم بآبائهم في التمثيل والتلقي والتقليد ، وكان مما كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في وصاياه : أن الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله ، فإذا رتع الإمام "أي أسرف أو تنعم" رتعوا ، وفي الطبري : أنه لما حمل الجندي إلى عمر بن الخطاب ﷺ ، سيف كسرى وجواهره ، بعد هزيمته أمام جيش المسلمين ، فإن أمير المؤمنين قال : إن قوماً أدوا هذه لذو أمانة ، فعقب علي بن أبي طالب موجهاً كلامه إلى عمر قائلاً : أنك عففت فعفت الرعية ، وهذا ابن الأثير يسجل في موسوعته التاريخية (الكامل) كان الوليد بن عبد الملك (الخليفة الأموي) صاحب بناء ، واتخذ المصانع والضياع ، فكان الناس يلتقون في زمانه ، فيسأل بعضهم بعض عن البناء ، وكان سليمان ابن عبد الملك ، صاحب طعام ونكاح ، فكان الناس يسأل بعضهم بعض عن النكاح والطعام ، وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ ، صاحب عبادة ، فكان الناس يسأل بعضهم بعض ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن الكريم وكم تصوم من الشهر .

فإذا فسد القائمون على الحكم والسلطة ، وخربت ذماؤهم ، واعتدوا على المال العام ، فأسرفوا فيه على مصالحهم الشخصية وملذاتهم وقصورهم الفارهة وتنقلهم من بلد إلى آخر مصطحبين المئات في مواكب ضخمة تتكلف الملايين من الجنيهات ، فضلاً عن الأموال التي تنفق على أجهزة الأمن والمخابرات التي تجند لحماية وحراسة شخص الحاكم ومن يهمه ، والأموال التي تسرف على شراء أجهزة الإعلام ، والتي تحيك قصصاً لبطولات من وحي الخيال ، تنسب إلى الحاكم ، كما لو كانت واقعية ، أو تمجده فيها وتعظم من شأنه وأسرته ، والأموال التي تسرف على احتفالات وأعياد لم ينزل بها من سلطان ، والأموال التي تدخل جيوبهم من وراء عقد الصفقات وشراء معدات ومستلزمات الإنتاج والسلاح سواء في صورة عمولات أو سمسرة أو رشاوى ، أو غيرها من صور الإسراف ، ينعكس كل ذلك على الرعية فتنتشر بينهم الرشاوى والاختلاسات والفساد بأنواعه ، وبلد أبناؤها بهذه الحالة لا ينتظر منهم رجاء ، وأي من صور الإنفاق التي تقوم به أجهزة الدولة فإنها تستقطعه من قوت الشعب ، بدلاً من إنفاقه على الأفواه الجائعة والأجساد العارية ، فإنها توجه هذه الوجهة .

ويجب أن لا نغفل على أنه مهما قلت موارد الدولة ، وانخفض إنتاجها ، وعاش أبناؤها الفقر المدقع ، فإن هذا لا يسبب لهم مشكلة كبرى ، ما دام يعيش الحاكم كأي فرد منهم تناله نفس المعاناة ، ولذلك حرص الإسلام على عدم وجود أي تمايز ، بين الحاكم وأفراد الرعية ، وقد طبق هذا الرسول الحبيب عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدون من بعده رضي الله عنهم ، وسنرى هنا كيف أن الرسول الكريم ﷺ بصفته حاكم الدولة الإسلامية ومن بعده الخلفاء الراشدون عاشوا حياة أشد تقشفا من حياة سائر الرعية ، وقد كان القضاء على كل مظاهر الترف والإسراف ، في عهد عمر بن عبد العزيز ، أحد مسببات انتعاش الحالة الاقتصادية في البلد وقتذاك ، لنقارن بين ما نحن عليه

الآن وبين ما كانوا عليه يوم طبق الإسلام ، أخرج أحمد بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني عمر بن الخطاب ﷺ قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير ، قال : فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر في جنبه ، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ (ورق السلم يدبغ به) في ناحية في الغرفة ، وإذا أهاب معلق ! فابتدرت عيناي ، فقال : "ما يبكيك ؟ يا ابن الخطاب" فقال : يا نبي الله ! وما لي لا أبكي ، وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما رأى ، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار ، وأنت نبي الله وصفوته و هذه خزانتك ! قال : "يا ابن الخطاب ! أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا" وأخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ، ولفظه : قال عمر : استأذنت على رسول الله ﷺ ، فدخلت عليه في مشربة (غرفة) وإنه لمضطجع على خصفة (الثوب الغليظ جداً) أن بعضه لعلى التراب ، وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا (قشر النخل) وأن فوق رأسه لإهابا عطنا (من عطن الجلد إذا تمزق شعره وأنتن في الدباغ) وفي ناحية المشربة قرظ ، فسلمت عليه ، فجلست فقلت : أنت نبي الله وصفوته ، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير ، فقال : "أولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وإنا قوم أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا" ... (١) وقد كان عليه الصلاة والسلام بسيطاً للغاية في ملبسه وأثاث بيته ، يؤثر في جنبه الحصير ، وما عرف أنه نام قط على شئ وثير ، حتى إن نساءه جئن إليه يوماً وفيهن السيدة عائشة رضي الله عنها ، يشتكين له الفاقة ، ويطالبنه بمزيد من النفقة لزينتهن ولباسهن ، حتى لا تكون إحداهن أقل شأناً من مثيلاتها من نساء الصحابة ، فأطرق مغضباً و لم يجب ، ثم نزل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيّ ! قُلْ : لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ

(١) حياة الصحابة – محمد يوسف الكاندهلوي ، المجلد الثاني : ص/٢٥٤ .

تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا * فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ * فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ﴾ {الأحزاب/٢٨-٢٩}فتلا رسول الله ﷺ هاتين الآيتين ، ثم خيرهن بين قبول العيش معه على الحالة التي هو فيها أو الإصرار على مطالبهن من النفقة وزيادة الزينة والمال ، وحينئذ يفارقهن ويسرحهن سراحاً جميلاً ، فاخترن العيش معه على ما هو عليه ... (٢) قال أبو بردة : أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً ملبداً وإزاراً غليظاً ، فقالت : قبض رسول الله ﷺ في هذين {رواه الشيخان} ، وقال عمر بن الأسود العنسي : لا ألبس مشهوراً أبداً ولا أنام بليل أبداً على دثار أبداً ولا أركب على مأثور أبداً ولا أملأ جوفي من طعام أبداً ، فقال عمر : من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله ﷺ ، فلينظر إلى عمرو بن الأسود ، {رواه أحمد} ، وعن جابر قال : دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل ، فلما نظر إليها بكى ، وقال : "يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد" فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ * فَتَرْضَى ﴾ ، وأوصى رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها ؛ وقال : "إن أردت اللحاق بي فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي ثوباً حتى ترقعيه" {أخرجه الترمذي} ، وعد على قميص عمر اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم ، واشترى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة ، وقطع كمية من الرسغين ، وقال : الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه" ... (٣) وها هو عمر بن الخطاب ، يتأخر عن خطبة الجمعة ، ثم يجئ مهرولاً في بردة بها إحدى وعشرون رقعة ، تحتها قميص لم يجف بعد من البلل ، ثم لا يكاد يصعد المنبر

(٢) فقه السيرة – د.محمد سعيد رمضان البوطي : ص/٩١ .

(٣) أحياء علوم الدين – أبي حامد محمد بن الغزالي : ج/٤ ، ص/٢١٥-٢١٧ .

حتى يعتذر للناس عن تأخره فيقول : حبسني عنكم قميصي هذا كنت أنتظره حتى يجف إنه ليس لي قميص غيره !! ويستقبل هدية من الحلوى أرسلها إليه عامله على أذربيجان ، فيسأل الرسول الكريم الذي جاء بها : أو كل الناس هناك يأكلون هذا ؟ فيجيبه الرجل قائلاً : كلا يا أمير المؤمنين ! إنها طعام الصفوة ، فيختلج عمر ويقول للرجل : أين بعيرك ؟ احمل هديتك وارجع بها إلى صاحبها وقل له : عمر يأمرك ألا تشبع من طعام حتى يشبع منه قبلك جميع المسلمين ... (٤) وقد حرم نفسه لا من الطيبات المشروعة للحاكمين فحسب ، بل من الطيبات المشروعة للمواطن العادي في كل زمان ومكان ، فعل ذلك بروح المسئولية ، التي حببت إليه أن يكون أول من يجوع إذا جاع قومه ، وآخر من يشبع إذا شبعوا ، والتي فرضت عليه أن يعاني كل ما يعانيه الناس من عمل وشظف ، وأنه ﷺ ، ليصور هذا الضمير القوي في فلسفة حكيمة فيقول : كيف يعنيني شأن الناس إذا لم يصبني ما يصيبهم ، فكما رأينا أمير المؤمنين يلتزم أكل الزيت ، حين أصاب المسلمين أزمة شديدة في اللحم والسمن ، ويدمن ابن الخطاب أكل الزيت حتى تئن أمعاؤه وتقرقر ، فيضع كفه على بطنه ويقول : أيها البطن لتمرنن على الزيت ما دام السمن يباع بالأواقي ، وفي عام الرمادة وكان عام مجاعة قاتله في المدينة ، أمر يوماً بنحر جزور ، وتوزيع لحمه على أهل المدينة ، وقام المختصون بإنجاز المهمة ، وقد استبقوا لأمير المؤمنين أطيب أجزاء الذبيحة ، وعند الغذاء وجد عمر أمامه على المائدة سنام الجزور وكبده ، وهما أطيب ما فيه ، فقال : من أين هذا ؟ قيل : من الجزور الذي ذبح اليوم ، فقال : وهو يزيح المائدة بيده الأمينة (بخ بخ) بئس الوالي أنا ، إن أطعمت طيبها ، وتركت للناس كراديسها (يعني عظامها) ، ثم نادى على

(٤) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/١٣٥-١٣٦ .

خادمه ، وقال له : ارفع هذه الجفنة وائتني بخبز وزيت ... (٥) وفي عام الرمادة يسمع عن جماعة في أقصى المدينة ، قد نزل بهم من الضر ، أكثر مما نزل بأهل المدينة كلها ، فيحمل فوق ظهره جرابين من دقيق ، ويحمل خادمه قربة مملوءة زيتاً ، ثم يهرولان إلى هناك يحملان النجدة والغوث ... (٦) يسأل عمر بن الخطاب وفداً زاره من أهل حمص عن واليهم (عبد الله بن قرط) فيقولون : خير أمير يا أمير المؤمنين ، لو لا أنه بنى لنفسه داراً فارهة ، ويهمهم عمر : داراً فارهة ؟ يتشامخ بها على الناس ؟ بخ بخ لابن قرط ، ثم يوفد إليه رسولاً ويقول له : ابدأ بالدار فأحرق بابها ، ثم ائت به إلي ، ويسافر الرسول إلى حمص ويعود بواليها فيمتنع عمر عن لقائه ثلاثة أيام ثم في اليوم الرابع يستقبله ويختار للقائه مكان (الحرة) حيث تعيش إبل الصدقة وأغنامها ، ولا يكاد الرجل يقبل ، حتى يأمره عمر أن يخلع حلته ، و يلبس مكانها لباس الرعاة ، و يقول له : هذا خير مما كان يلبس أبوك ، ثم يناوله عصا ، و يقول له : وهذه خير من العصا التي كان أبوك يهش بها على غنمه ، ثم يشير بيده إلى الإبل ، ويقول له : اتبعها وارعها يا عبد الله ، ثم بعد حين يستدعيه ، ويقول له معاتباً : هل أرسلتك لتشيد وتبني ؟! ارجع إلى عملك ، ولا تعد لما فعلت أبداً !! هذا موقفه من رجل شهد له قومه بأنه خير أمير لو لا أنه ميز نفسه بدار رافهة ... (٧) ذات يوم يصعد المنبر ليحدث الناس في أمر جليل فيبدأ خطبته بعد حمده الله بقوله : اسمعوا يرحمكم الله ، ولكن أحد المسلمين ينهض قائماً ؛ فيقول : والله لا نسمع والله لا نسمع !! فيسأله عمر في لهفة : ولم يا سلمان ؟ فيجيب سلمان : ميزت نفسك علينا في الدنيا، أعطيت كلاً منا بردة

(٥) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/١٨٢-١٨٣ .

(٦) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/١٩٥ .

(٧) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٢٠٢ .

واحدة ، وأخذت أنت بردتين !! فيجيل الخليفة بصره في صفوف الناس ثم يقول : أين عبد الله بن عمر ؟ فينهض ابنه عبد الله ، ها أنذا يا أمير المؤمنين ، فيسأله عمر على الملأ : من صاحب البردة الثانية ؟ فيجيب عبد الله : أنا يا أمير المؤمنين ، ويخاطب عمر سلمان والناس معه ؛ فيقول : إنني كما تعلمون رجل دوال ، ولقد جاءت بردتي قصيرة ، فأعطاني عبد الله بردته فأطلت بها بردتي ، فيقول سلمان : الحمد لله ، والآن قل نسمع ونطع يا أمير المؤمنين ، نتخيل عدم طاعة أحد الرعايا للخليفة بسبب قطعة قماش ، قد تكون ربع أو نصف متر ، ظناً منه أن الخليفة قد أخذ نصيباً أكثر مما وزع على الرعية بالتساوي ، ولو فرض أن هذا الصحابي عاش وقتنا هذا ورأى ما عليه الحكام اليوم ماذا كان قال لهم ؟!... (٨) ويحدد عمر بن الخطاب ما يحل له من بيت مال المسلمين في قوله ﷺ : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى : حلتان لشتائي وقيظي ، وما يسعني من الظهر لحجتي وعمرتي ، وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم ، فوالله ما أدري أيحل ذلك أم لا ؟ كأنه في شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها ؟... (٩) لنقارن بين هذا وبين من جعلوا مال الدولة نهبا مباحاً لهم ولورثتهم من بعدهم ، قالت حفصة لأبيها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ : ما عليك لو لبست ثوباً ألين من هذا ، قد فتح الله عليك الأرض وأوسع الرزق ؟ وقد قال له غيرها مثل هذا القول ، فرد عليهم إنما مثلي ومثلكم كقوم سافروا فدفعوا إلى رجل منهم ؛ فقالوا أنفق علينا ، فهل يحل له أن يستأثر بشئ منه ، قالوا : لا ، فقال عمر : فذلك مثلي ومثلكم ... (١٠) وقال عمر

(٨) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٢٢٢-٢٢٣ .

(٩) أحياء علوم الدين – أبي حامد الغزالي : ج/٣ ، ص/٢٢٥ .

(١٠) مجلة العربي ، العدد/٣٧٩ ، ذو القعدة عام ١٤١٠هـ ، يونيو عام ١٩٩٠ .

لحفصة : يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ فقالت : بلى ، قال : ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ ، لبث في النبوة كذا وكذا سنة ، لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة ، إلا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية ، إلا جاعوا غدوة ، وناشدتك الله هل تعلمين أن النبي الكريم ﷺ ، لبث في النبوة كذا وكذا سنة ، لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ ، قربتم إليه يوماً طعاماً على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه ، حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت و وضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض ، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ ، كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال : منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ ، كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ ، صنعت له امرأة من بني طفر كساءين إزارا ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغه الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره وقد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك ، فما زال يقول حتى أبكاها وبكى عمر ﷺ وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج ... (١١) وفي حديث يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم قال : أرسل عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربعمائة درهم ؛ فقال عبد الرحمن : أتستسلفني وعندك بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم ترده ؟ فقال عمر : أني أتخوف أن يصيبني قدري ، فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأمير المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة ، ولكني أتسلفها منك لما أعلم من شحك ، فإذا مت جئت فاستوفيتها من

(١١) أحياء علوم الدين – أبي حامد الغزالي : ج/٤ ، ص/٢٠٦ .

ميراثي ... (١٢) أرأيتم أشد حرصاً على مال الشعب من خليفة المسلمين وأميرهم عمر بن الخطاب ، ويجب عل ولاة أمورنا الاقتداء به ، ولقد كان عمر بن الخطاب يحلف على أيمان ثلاث ، فيقول : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا بأحق به من أحد ، و والله ما من المسلمين أحد إلا وله في هذا المال نصيب ، إلا عبداً مملوكاً، ولكنا على منازلنا من كتاب الله عزّوجلّ ، وقسمنا من رسول الله ﷺ ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه ، وقال علي بن أبي طالب : ألا إن مفاتيح مالكم معي ، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم ... (١٣) ، وهذا أبو بكر الصديق ﷺ حين بويع بالخلافة ذهب إلى السوق كعادته ليتاجر ويقوت لنفسه وأهله ، فلقيه عمر فقال له : إلى أين ؟ قال : إلى السوق ، قال عمر : تصنع ماذا ، وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : من أين أطعم عيالي ؟ فقال عمر: انطلق يفرض لك أبو عبيدة أمين بيت المال ، فانطلق إلى أبي عبيده لكي يفرض لخليفة المسلمين حاكم الدولة الإسلامية من بيت المال ، فانظر ماذا فرض له ! قال أبو عبيدة : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف إذا أخلقت شيئاً رددته وأخذت غيره !... (١٤) كسوة واحدة طول الشتاء ، ومثلها طول الصيف ، وليس حلة في الصباح ، وأخرى في المساء ، تختلفان عمن كان بالأمس وقبل الأمس ، وعمن كان لهذه المناسبة ولتلك المناسبة ، وقيل : إن زوجة أبي بكر ﷺ ، اشتهت حلوا ، فقال : ليس لنا ما نشترى به ، فقالت :

(١٢) الرقابة الإدارية في الإسلام المبدأ والتطبيق – علي محمد حسنين : ص/١٠٦-١٠٧ .

(١٣) الإسلام وأوضاعنا السياسية – عبد القادر عوده : ص/٢٣٩-٢٤٠ .

(١٤) العبادة في الإسلام – د.يوسف القرضاوي : ص/٢٥٧ .

أنا استفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشترى به ، قال : افعلي ، ففعلت ذلك ، فاجتمع لها في أيام كثيرة شئ يسير ، فلما عرفته ذلك ليشتري به حلوا ، أخذه فرده إلى بيت المال ، وقال : هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته ، بمقدار ما نقصت كل يوم ، وغرمه لبيت المال من ماك كان له ... (١٥) أي زيادة تفيض عن الضروريات ، اعتبرها خليفة المسلمين ، بأنها ليست حقاً له ، وإنما حق للمسلمين ، فردها إلى بيت المال ، وقد كان عثمان بن عفان ، يطعم الناس طعام الإمارة ، ويأكل هو الخل والزيت ، وقد كان أكثر قومه مالاً وثراءً ونعمةً سواء في الجاهلية أو الإسلام ، كما يحدثنا عبد الله بن شداد ؛ فيقول : رأيت عثمان يخطب يوم الجمعة ، وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم أو خمسة دراهم ، وهو يومئذ لأمير المؤمنين ... (١٦) أما علي بن أبي طالب فقد أبى أن ينزل قصر الإمارة بالكوفة ، وكان يؤثر عليه الأرض الخلاء ، والدار المهجورة ، ويلحون عليه كي ينزل قصر الإمارة هذا ، فيجيبهم : لا قصر الخبال لا أنزله أبداً ، ومن أجل هذا يلبس الثوب الخشن ، فيسأله أصحابه أن يعطي نفسه ومنصبه بعض حقهما ، فيقول : هذا الثوب يصرف عنى الزهو ، ويساعدني على الخشوع في صلاتي ، وهو قدوة صالحة للناس كي لا يسرفوا ويتبذخوا ، ثم يتلو آية القرآن العظيم : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةِ * نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لاَ يُرِيْدُوْنَ عُلُوّاً فِيْ الأَرْضِ فَسَاداً * وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴾ ... (١٧) ، ويرتدي الخليفة جلبابا اشتراه من السوق بثلاثة دراهم ، ويركب حماراً ، وقد تدلت على جانبيه ساقاه ، وكأنه واحد من فقراء البادية ، ويعزم عليه أصحابه أن يجعل وسيلته للتنقل جواداً يليق بأمير المؤمنين ، فيجيبهم قائلاً : دعوني أهن

(١٥) الرقابة الإدارية في الإسلام المبدأ والتطبيق – علي محمد حسنين : ص/١٠٥ .

(١٦) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٢٩٧ .

(١٧) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٤٣٣ .

هذه الدنيا ... (١٨) وها هو ذا يخرج إلى سوق الكوفة ، وهو خليفة المسلمين و أمير المؤمنين ، حاملاً أحد أسيافه الأثيرة لديه ، الحبيبة إليه ، عارضاً إياه للبيع ، وقائلاً : من يشتري سيفي هذا ؟ فوالله لو كان معي ثمن أزار ما بعته ! لماذا هذه الفاقة ، وبيت مال المسلمين يستقبل كل يوم من أقطار الإسلام مالاً غدقاً ، ومن حقه كأمير المؤمنين أن يأخذ منه كفايته !؟ لماذا يصر على أن يطحن بنفسه دقيقه ، ويرقع مدرعته حتى لا تبقي فيها مكان لرقاع جديدة !!...(١٩) وقد كان له مقولة في ذلك تجيب أي استفهام وهي : أ أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ، ثم لا أشارك المؤمنين في مكاره الزمان ! والله لو شئت لكان لي من صفو هذا العسل ، ولباب هذا البر ، ومناعم هذه الثياب ، ولكن هيهات أن يغلبني الهوى ، فأبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى ... (٢٠) .

ونختم حديثنا بنبذة عن حياة خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ، ونبدأ وهو يتهيأ آخذاً طريقه إلى السرادق الذي جرت العادة بإقامته حيث يجري فيه أول لقاء بين الخليفة الجديد وصفوة قومه ، ولا يكاد يضع قدميه على الطريق ، حتى يرى موكباً فخماً من الجياد المطهمة ، تتوسطها فرس زينت كالعروس ، ليمتطي الخليفة ظهرها الباذخ ، وفجأة تأخذه الرجفة ويسأل مستنكراً : ما هذه ، فيجيبونه : هذه جياد لم تركب قط ، تعد لموكب خليفة جديد ، فينادي عمر : يا مزاحم ضم هذه إلى بيت المال ، ويمضي على قدميه حتى يبلغ السرادق ، فإذا هو فتنة و لا كإيوان كسرى ، فتعاوده

(١٨) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٥٠٠ .

(١٩) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٥٣٧ .

(٢٠) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٥٣٨-٥٣٩ .

الرجفة ، ويسأل ما هذا ؟ فيجيبونه : إنه السرادق الذي يعد لاستقبال الخليفة الجديد ، فينادي : يا مزاحم ضم هذا إلى بيت المال ، ويدعو بحصير فيفرشه على الأرض ثم يجلس فوقه في غبطة قديس ، ثم يجاء بالأردية المزركشة والطيلسانات الفاخرة ، فيسأل ما هذه ؟ فيقولون : إنها ثياب الخلافة ، يتحلى بها كل خليفة جديد ، فينادي يا مزاحم وهذه أيضاً ضمها إلى بيت المال ، ثم تعرض عليه الجواري ليختار منهن وصيفات قصره ، وهنا ينهض فزعاً ويقبل عليهن واحدة واحده : من أنت ولمن كنت وما بلدك ؟ حتى إذا فرغ من سؤالهن جميعاً ، نادى يا مزاحم : تول أمرهن جميعاً ، وأرجع كل واحدة منهن إلى أرضها وذويها ... (٢١) تروي زوجته فاطمة بنت عبد الملك هذه الواقعة : دخلت عليه يوماً ، وهو جالس في مصلاه ، واضعاً خده على يده ، ودموعه تسيل ، فقلت له : ما بالك وفيم بكاؤك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة إني قد وليت أمر هذه الأمة ما وليت ، ففكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود ، واليتيم المكسور ، والمظلوم المقهور ، والغريب ، والأسير ، والشيخ الكبير ، والأرملة الوحيدة ، وذي العيال الكثير والرزق القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة ، و أن خصمي دونهم يومئذ محمد ﷺ ، فخشيت ألا يثبت لي حجة فلذلك أبكي ... (٢٢) وقد ظلت زوجته تشاركه التقشف القاسي الذي فرضه على نفسه ، و لم تكن تزيد حين تقرقر أمعاؤها من الجوع ، وترتعد أوصالها من الصقيع ، على أن تقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلت علينا ، لقد أخذها معه إلى

(٢١) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٦٢٧-٦٢٨ .

(٢٢) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٦٣٢ .

قيعان مسئوليته واستغراقه ، وأضحت السيدة التي كانت زوجة خليفة وبنت خليفة وأخت خليفة ، والمتقلبة في أبهى ما كانت الدنيا تعرف يومئذ من حرير ولؤلؤ وذهب ونعيم ، أضحت لا تملك إلا ثوبين خشنين ، فقد حمل الخليفة كل حلله وحللها وحلل أبنائه وبناته ، وأمر ببيعها ، و وضع أثمانها في بيت مال المسلمين ، وأضحت لا تأكل أكثر ما تأكل إلا الخبز الجاف مبللاً بالزيت ، أو مثروداً بالعدس ... (٢٣) يطلب منه ذات يوم الموافقة على صرف مبلغ كبير من المال لكسوة الكعبة ، فيكون جوابه : إني أرى أن أجعل هذا المال في أكباد جائعة فإنها أولى من الكعبة ... (٢٤) اتخذ قراره الحاسم بإلغاء كافة مخصصات الأمراء ، ومخصصات حرسهم وخدمهم ، وقام بنزع الإقطاعيات الزراعية منهم جميعاً ، وردها إلى بيت المال ، وبدأ بنفسه ، فتخلى عن جميع أملاكه وأمواله ، حتى أرض فدك في خيبر ، وكانت خير ممتلكاته وأثمنها ، ولم يكن أحد أقطعه إياها ، بل ورثها عن أبيه ، ليس هذا فحسب ، بل تنازل عن كل درهم في راتبه المخصص له كأمير المؤمنين ، واكتفى من دنياه كلها ولدنياه كلها ، بقطعة أرض صغيرة كان قد اشتراها بحر ماله ، ولم تكن تغل أكثر من مائتي دينار في العام ، راح يعيش بها هو وأسرته الكبيرة ، مائتا دينار في العام ، لرجل كان دخله منذ أيام لا غير ، أربعين ألف دينار ... (٢٥) ويرسل خادمه يوماً ليسخن له الماء كي يتوضأ به في يوم شات زمهرير ، ويعود الخادم مسرعاً بالماء الدافئ ، فيسأله الخليفة : أين أدفأه بهذه السرعة ؟ فيجيب الخادم في مطابخ المسلمين ، وقد كان عمر ، قد توسع في إنشاء مطابخ عامة للناس ينفق عليها من بيت المال ، فعاتب الخليفة خادمه على

(٢٣) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٦٣٦ .

(٢٤) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٦٤٣ .

(٢٥) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٦٥٣ .

صنيعه ، ورفض أن يمس الماء جسده ، حتى يذهب الخادم إلى القائم على هذه المطابخ بثمن تسخين هذا القدر الضحل جداً من الماء ، وحين كان يباشر أمور الدولة ليلاً على مصباح ، يؤخذ زيته من بيت المال ، فإذا عرض في أثناء ذلك طارئ شخصي ، ولو كان لا يستغرق سوى لحظات ، فإنه يطفئ مصباح بيت المال ، ويوقد شمعته أو مصباحه حتى ينتهي من ذلك الطارئ ، جاءته يوماً هدية فاعتذر عنها ، فقيل له : إن رسول الله ﷺ ، كان يقبل الهدية ، فأجاب قائلاً : لقد كانت للرسول هدية ، ولكنها لنا رشوة ... (٢٦) هذه نبذة مختصره عن حياة الخلفاء الراشدين ، وقد أمرنا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام باتباعهم ، ولو اتبعناهم لتغيير حالنا عن ما نحن عليه ، وقد مر بنا كيف أن الرجل كان يأتي بزكاة ماله لا يجد من يأخذها منه ، فقد أغنى عمر ابن عبد العزيز الناس ، ليس باكتشافات بترولية جديدة ولا باستصلاح أراضٍ صحراوية ولا بالدعوة إلى السياحة ولا اللجوء إلى المعاملات الربوية ولا غيرها من الطرق ، ولكنه عف فعفت الرعية أدى ما عليه تجاه ربه وتجاه الرعية فأدت الرعية ما عليها تجاه الله ثم تجاه بعضها البعض .

وسنلقي نظره على حياة ومرتبات بعض حكامنا اليوم ، لنقرر لو أنهم قدر لهم أن يعيشوا كما عاش الخلفاء الراشدون ، كم بمرتباتهم يغني ويستغني ، لن نقول أعداد كبيرة من الأفراد ولكن ستغني أعداداً كبيرة من الدول ، مرتب الرئيس الأمريكي (جورج بوش) ٢٠٠/ألف دولار سنوياً أي حوالي ٥٥٠/دولار يومياً ، وهذا الدخل اليومي يفوق الدخل السنوي للعديد من أبناء الدول النامية ، مرتب الرئيس السوفيتي سابقاً (ميخائيل غورباتشوف) ٦٥٠٠/دولار سنوياً ، أما رئيس وزراء اليابان يستلم مرتباً قدره ١٣٥٠٠/دولار بالإضافة إلى زيادة أخرى تفوق المرتب ، رئيس جمهورية

(٢٦) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد : ص/٦٧٢-٦٧٣ .

إيطاليا مرتبه ٢٨٤/مليون ليرة ، الرئيس الفرنسي (ميتران) يناهز مرتبه الشهري ٣٦/ألف فرنك فرنسي أي ٦٤٠٠/دولار ، مستشار ألمانيا الغربية مرتبة السنوي ١٨٠/ألف دولار ، رئيسة وزراء بريطانيا سابقاً تحصل سنويا على ٥٣/ألف جنيه إسترليني أي ٩٠/ألف دولار ، أما ملكة بريطانيا فتحصل على مرتب أعلى من ذلك بكثير وتقدر قيمة ممتلكاتها ١٢,٥/مليار دولار ، وتقدر قيمة ممتلكات سلطان بروناي بـ ٢٥/مليار ، وإيرادات سنوية تقدر بـ ١,٦/مليار دولار ؛ فالرجل يعد الأثري ليس فقط بين الحكام أو السياسيين بل كأغنى رجل في العالم ، ثم يأتي حكام الخليج ويتقدمهم عاهل السعودية الملك فهد وتقدر ممتلكاته ١٨/مليار دولار ، ثم أمير الكويت الشيخ جابر الصباح الذي تقدر أملاكه عند ٤,٥/مليارات دولار ، ثم حاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد المكتوم ، أما في دول المجاعات والأزمات ودول الفقر والموت جوعاً وعطشاً ، فإن مرتبات الرؤساء تعتبر من أسرار الدولة التي تحفظ طي الكتمان ، رئيس زائير الذي يزج شعبه تحت غطاء الحرمان والفقر ، جمع حسب تقديرات المراقبين ثروة تقدر ٦/مليارات دولار ، بينما يعترف علناً بامتلاكه ٥٠/مليون دولار فقط ، وبالإضافة إلى فقر الشعب الزائيري وأوضاعه البائسة فإن ديون البلاد الخارجية تقدر بخمسة مليارات دولار ... (٢٧) كل هذه الدول السابقة عدا زائير ترفع شعار محاربة الفقر وتعلن تأييدها لرفع المعاناة عن شعوب العالم الثالث فلو تحول كلامهم إلى حقيقة وتنازل أقل الرؤساء مرتباً عن راتبه العنوي وعاش كما عاش أي من الخلفاء الراشدين فكم من العائلات سوف يكفيها هذا المرتب ؟!

***

(٢٧) مجلة العالم ، العدد : ٣٣٠ ، ٩/يونيو عام ١٩٩٠م ، الموافق ١٥/ذو القعدة ١٤١٠هـ .

سفراء النبي الكريم ﷺ إلى الملوك والأمراء

بقلم : الأخ محمد علي الوافي كرواتل
محاضر كلية بافقية للآداب والعلوم الإسلامية – ملابرم – كيرالا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

إن منهج النبي الكريم ﷺ في تربية الأمة وإقامة الدولة كان شاملاً متكاملاً متوازناً ، وغرس معلم البشرية ﷺ في نفوس أصحابه التشريع السماوي والمنهج الرباني ، وكانوا يتبعون خطى الرسول الكريم ﷺ في كل صغيرة وكبيرة .

معنى السفارة أو الدبلوماسية :

من المعلوم أن السفارة كلمة عربية أصلية ، وذلك على خلاف كلمة دبلوماسية فهي في أصلها من لغة اليونان القديم اشتقت من فعل (دبلو) ومعناه يطوى أو يثنى ومنه جاء اسم تلك الوثيقة أو المكاتبة الرسمية التي تطوى أو تثنى ، والتي عرفت باسم (دبلومه) وهذه الوثيقة التي كانت تبعث بها الحكام أو السلطان أو غيرهم في منزلتهم في علاقاتهم الرسمية وقد كانت تمنح لحاملها امتيازات كثيرة ومعاملة خاصة أثناء سفله لأداء المهمة الملقاة على عاتقه (١) وقد دخلت هذه الكلمة : (Diplomacy) إلى القواميس الدولية منذ أوساط القرن السابع عشر حين حلت محل كلمة المفاوضة (Negotiation) ، وقد تطور

(١) الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السليمة مع الصليبيين – د/عمر توفيق كمال : ص/١٧ .

مدلول الدبلوماسية مع الأزمان ، وأصبحت تشير إلى معان شتى .

والدبلوماسية مصطلح قديم يرجع إلى أصول كلاسيكية ، استعمله اليونان القدامى ، ثم انتقل منهم إلى الرومان ، و من الرومان إلى اللغات الحديثة (٢) .

كلمة الدبلوماسية هي كلمة يونانية اشتقت من كلمة دبلوم أو دبلون ومعناها طبق أو ثنى ، ولقد كانت تختم جميع جوازات السفر ورخص المرور على الطرق الإمبراطورية الرومانية وكذا تختم قوائم المسافرين وبضائعهم بخاتم ذي وجهين مطبقين ، ويستعمل هذا الخاتم تذاكر للمرور وسمي هذا التذاكر (دبلومات) واتسعت كلمة دبلوما حتى شملت وثائق رسمية التي تمنح المزايا أو تحتوي على اتفاقات مع جماعات أو قبائل أجنبية (٣)

السفارة أو الدبلوماسية في العهد النبوي :

وكان ﷺ هو المعلم الأول للسفراء المسلمين ، وهو مؤسس نظم السفارات ، و واضع أصولها الثابتة وقواعدها المحددة ومناهجها القويمة الذي اتبعه خلفاؤه من بعده في سبيل بناء الدولة الإسلامية والدفاع عن عقيدتها وكيانها ، وفي السنة السادسة من الهجرة ، وبعد عقد الصلح مع قريش تتجلى السفارة أو الدبلوماسية الإسلامية في عصر الرسول الكريم ﷺ فيما بعث من كتب ، وأوفد من بعوث إلى القبائل العربية وإلى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها لدعوتهم إلى الدخول في دين الله الحق ، وكان من أهم أغراض دبلوماسيته ﷺ دعوة الناس كلهم إلى دين الله الأحد الصمد ، ولإتمام هذا الغرض أخذ النبي الكريم ﷺ يراسل من حوله من الملوك أو رؤساء القبائل ، ومن مراسلاته هذه يستطيع كل من يبحث فيها أن يفهم أن مجهوداته ﷺ في المجال

(٢) الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السليمة مع الصليبيين – د/عمر توفيق كمال : ص/١٩ .

(٣) تاريخ الدبلوماسي – الأستاذ قاسم محمد عثمان اللبناني .

الدبلوماسي إنما ترتكز على نشر دعوته ﷺ ، ولذا كانت رسالاته التي توجه إلى الملوك ورؤساء القبائل مصدرة بعبارة : "سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى"

رسالته ﷺ إلى كسرى :

إلى كسرى ملك فارس : "بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك" .

ولما بلغ الكتاب إلى كسرى غضب ، وقال هجراً ومزق الكتاب ، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ دعا عليه بأن يمزق الله ملكه ، و استجاب الله له ومزق ملكه .

رسالته ﷺ إلى قيصر :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين (٤) ، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ! تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ * أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ * وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً * وَلاَ يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُوْنِ اللهِ * فَإِنْ تَوَلَّوْا * فَقُوْلُوْا اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ ﴾ (٥) .

كتابه ﷺ إلى المقوقس :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ،

(٤) الأريسيين : نسبة إلى العدريس آريوس .

(٥) سورة آل عمران ، الآية/٦٤ .

أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم أهل القبط : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ! تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ * أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ * وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً * وَلاَ يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُوْنِ اللهِ * فَإِنْ تَوَلَّوْا * فَقُوْلُوْا اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ ﴾ (٦) .

كتابه ﷺ إلى ملك الحبشة :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ﷺ ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عزّوجلّ ، وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى" .

كتابه ﷺ إلى الحارث الغساني بالشام :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شِمْر، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن به وصدق ، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقي لك ملكك" .

كتابه ﷺ إلى ملك عمان :

"بسم الله الرحمن الرخيم ، من محمد بن عبد الله إلى جَيْفَر وعَبَّاد ابني الجلندي ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإني أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فإنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما ، وإن أبيتما أن تقرا

(٦) سورة آل عمران ، الآية/٦٤ .

بالإسلام فإن ملككما زائل ، وخيل تحل ساحتكما وتظهر نبوءتي على ملككما" .

كتابه ﷺ إلى هوذة صاحب اليمامة :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم ، واجعل لك ما تحت يديك" .

كتابه ﷺ إلى المنذر بن حاكم البحرين :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد : فإني أذكرك الله عزّوجلّ ، فإن من ينصح إنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً ، وإني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت من أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية" (٧) .

سفراء النبي الكريم ﷺ :

واختار النبي الكريم ﷺ ليحمل هذه المراسلات كلا من :

١- دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم .

٢- حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر .

٣- عبد الله بن حذافة إلى كسرى ملك الفرس .

٤- عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة .

٥- شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني .

(٧) نماذج من كتبه ﷺ : هذا الحبيب يا محب - لأبي بكر جابر الجزائري : ص/٢٣٠-٢٣١-٢٣٢ .

٦- سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي .

٧- العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخي عبد القيس .

مواصفات رجل الدبلوماسية الإسلامية :

يقول الدكتور علي محمد الصلابي في سيرته النبوية (٨) ، ناقلاً عن محمود شيت خطاب ، عن شروط ومواصفات رجل الدبلوماسية الإسلامية ، ومن أهم تلك الشروط والمواصفات :

١- الإسلام والدعوة إليه : قال الله عزّوجلّ : ﴿ قُلْ : هَذِهِ سَبِيْلِيْ * أُدْعُوْا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيْ * وَسُبْحَانَ اللهِ * وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴾ (٩) وإذا كان المسلمون كلهم دعاة إلى الله تعالى ، فرسل النبي الكريم ﷺ إلى الملوك والأمراء في زمانه هم صفوة الدعاة .

٢- الفصاحة والوضوح : الفصاحة ، وجزالة اللفظ ، والدقة في توصيل المعاني إلى السامعين شرط أساسي في الرجل الذي يتصدى للمهمة الدبلوماسية ، وقد طلب موسى تدعيمه بموقف الفصاحة من هارون أخيه : ﴿ وَاجْعَلْ لِّيْ وَزِيْراً مِّنْ إِهْلِيْ * هَرُوْنَ أَخِيْ * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِيْ ﴾ (١٠) ، وقد اختار الرسول الكريم ﷺ كل سفرائه ، ومبعوثيه من العرب الذين تربوا في الجزيرة العربية ومع البدو أحياناً ، فقد كانوا أصحاب نقاوة لم تتكدّر باختلاط الأعاجم بعد ، فقد كانوا على قدر كبير من الفصاحة ، والوضوح .

٣- حسن الخلق : أخلاق السفير النبوي هي أخلاق الإسلام التي بينها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ، وفصلها رسول الله ﷺ في سننه ، وأهمها في السفير : الصدق ، والتواضع .

---

(٨) السيرة النبوية – للدكتور علي محمد الصلابي : ص/٨٥٢-٨٥٣ .

(٩) سورة يوسف ، الآية/١٠٨ .

(١٠) سورة طه ، الآيات/٢٩-٣١ .

٤- العلم : لا نريد هنا أن نبين منزلة العلم ، لأن الكلام على هذه المسألة طويل ، ولكننا نؤكد هنا : أن العلم بالشئ هو وسيلة نقل الفكرة ، والمبدأ ، لذا عندما تنظر إلى جعفر بن أبي طالب ﷺ وهو يحاور النجاشي ، ثم يقرأ عليه سورة : ﴿ كهيعص ﴾ (١١) تتيقن من دقة الاختيار النبوي ، ونصاعة خطاب العالم ، ودقة اختياره للألفاظ ، والعبارات .

٥- الصبر : قال الله عزّوجلّ : ﴿ فَاصْبِرْ * كَمَا صَبَرَ أُوْلُوْا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ * وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُوْنَ لَمْ يَلْبَثُوْا إِلاَّ سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلاَغٌ * فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُوْنَ ﴾ (١٢) ، والحقيقة أن الصبر هو عدة الداعية ، وزاده المستمر ، ولو تصفحت سيرة الرسول الكريم ﷺ وسيرة صحابته الأجلاء ، لوجدتها حافلة بالصبر على الدعوة .

٦- الشجاعة : وقد تحدث التاريخ الإسلامي عن شجاعة السفراء ، والذين أرسلهم الرسول الكريم ﷺ إلى الملوك ، وأنهم كانوا لا يخافون لومة لائم .

٧- الحكمة : وقد كان سفراء الرسول الكريم ﷺ يتصفون بالحكمة ، فهذا عمرو بن العاص كان مسدداً في أقواله ، وأفعاله ، قيل لعمرو : ما العاقل ؟ قال : الإصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان ، ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، إنما العاقل الذي يعرف خير الشرين .

٨- سعة الحيلة : يجب أن يكون السفير مدركاً لأبعاد المناورة السياسية متأنياً كتوماً ، وسعة الحيلة التي ترتكز أولاً وقبل كل شئ على الذكاء من أهم سمات السفير ، وقد كان سفراء الرسول الكريم ﷺ يتصفون بالذكاء

---

(١١) سورة مريم ، الآية/١ .

(١٢) سورة الأحقاف ، الآية/٣٥ .

والدهاء ، وتوقع الأحداث ، والحساب لكل ما يمكن أن يحدث ، وهذه مقومات سعة الحيلة .

٩- **المظهر** : تميز سفراء النبي الكريم ﷺ بالمظهر الحسن مع نقاء المخبر ، وقد حرص النبي الكريم ﷺ على اختيار سفرائه من بين أصحابه الذين تتوافر فيهم سمات شكلية جميلة إلى جانب سماتهم العقلية ، والنفسية سالفة الذكر .

و هناك شروط أخرى تتعلق بالدبلوماسية ، و هي شروط في الرسائل (١٣) :

- أن جميع كتب الرسول الكريم ﷺ التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء يفتتحها بالبسملة ، وقد واظب عليها في كتبه ﷺ .
- وينبغي أن يكتب في الكتاب اسم المرسِل والمرسَل إليه .
- عدم بدء الكافر بتحية الإسلام ، وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ذلك لأن النبي الكريم ﷺ لم يطرح السلام في كتبه على ملك من ملوك الكفر ، بل كان يصدر كتبه بقوله : **سلام على من اتبع الهدى** .
- اتخاذ الخاتم : فقد كان رسول الله ﷺ يختم رسائله بعد كتابتها بخاتمه ، وقد كتب عليه ثلاث كلمات : { محمد رسول الله } .

فعن أنس ﷺ قال : لما أراد النبي الكريم ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ، فكأني أنظر إلى بياضه في يده ، ونقش فيه : محمد رسول الله (١٤) .

يقول الدكتور علي محمد الصلابي في كتابه السيرة النبوية (١٥) عن

(١٣) السيرة النبوية – الدكتور علي محمد الصلابي : ص/٨٥٦ .

(١٤) فتح الباري – للحافظ ابن حجر العسقلاني : ج/٦ ، ص/١٠٨ .

(١٥) السيرة النبوية – للدكتور علي محمد الصلابي : ص/٨٥٨ .

نتائج إرسال الكتب إلى الملوك والأمراء :

"أظهر الرسول الكريم ﷺ في سياسته الخارجية دراسة سياسية فاقت التصور ، وأصبحت مثالاً لمن جاء بعده من الخلفاء ، كما أظهر ﷺ قوة وشجاعة فائقتين ، فلو كان غير رسول الله ﷺ لخشي عاقبة ذلك الأمر ، لا سيما أن بعض هذه الكتب قد أرسلت إلى ملوك أقوياء على تخوم بلاده كهرقل وكسرى والمقوقس ، ولكن حرص رسول الله وعزيمته على إبلاغ دعوة الله ، وإيمانه المطلق بتأييد الله سبحانه وتعالى ، كل ذلك دفعه لأن يقدم على ما أقدم عليه وحققت هذه السياسة النتائج الآتية :

١- وطد الرسول الكريم ﷺ بهذه السياسة أسلوباً جديداً في التعامل الدولي لم تكن تعرفه البشرية من قبل .

٢- أصبحت الدولة الإسلامية لها مكانتها وقوتها وفرضت وجودها على الخريطة الدولية لذلك الزمان .

٣- كشفت للرسول الحبيب ﷺ نواياً الملوك والأمراء وسياستهم نحوه وحكمهم على دعوته .

٤- كانت مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب تعبيراً عملياً على عالمية الدعوة الإسلامية ، تلك العالمية التي أوضحتها آيات نزلت في العهد المكي مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيْنَ ﴾ (١٦) .

وهكذا ، فإن رسائل النبي الكريم ﷺ إلى أمراء العرب والملوك المجاورين لبلاده ، تعتبر نقطة تحول في سياسة دولة الرسول الخارجية ، فعظم شأنها ، وأصبحت لها مكانة دينية وسياسية بين الدول ، وذلك قبل فتح مكة ، كما أن هذه السياسة مهدت لتوحيد الرسول الحبيب ﷺ لسائر أنحاء بلاد العرب في عام الوفود .

(١٦) سورة الأنبياء ، الآية/١٠٧ .

الدعوة الإسلامية :

العقيقة : في الإسلام

بقلم : ا.د. محمد السيد علي بلاسي
اكاديمي – خبير دولي ، عضو اتحاد الكتاب
(جمهورية مصر العربية)

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ * لِمَنْ كَانَ يَرْجُوْا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ {الأحزاب/٢١} .

وقال عزّوجلّ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ * فَخُذُوْهُ * وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ * فَانْتَهُوْا ﴾ {الحشر/٧} .

وروى أبو داؤد والترمذي عن أبي نجيح العرباض بن سارية ﷺ قال : "وعَظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً وجلتْ منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ! كأنها موعظة مُودّع فأوصنا ، قال : "إوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمرَ عليكم عبد حبشي ، وإنه من يعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُوا عليها بالنواجذ ، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإنّ كل بدعة ضلالة" .

ومن السنن الجليلة في الإسلام (العقيقة) ، ومع ما لها من مكانة عظيمة ومنزلة سامية ، إلا أن كثيراً من المسلمين اليوم يغفلون عن القيام بها ؟!!

مفهوم العقيقة :

العقيقة والعِقّة بالكسر : الشعر الذي يولد عليه كل مولود من الناس والبهائم ، ومنه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه عقيقة (١) .

ويقال للشعر الذي يخرج على رأس المولود في بطن أمه : عقيقة ؛ لأنها

(١) مختار الصحاح – للإمام أبي بكر الرازي ، مادة (عقق) : ص/٣٠٧ ، ط/عيسى البابي الحلبي د.ت .

تحلق ، وجعل الزمخشري الشعر أصلاً ، والشاة المذبوحة مشتقة منه (٢) .

وتدور مادة (عقق) – في اللغة – حول : الشق والقطع .

ففي اللسان : والعقّ في الأصل الشقّ والقطع ، وسميت الشعرة التي يخرج المولود من بطن أمه وهي عليه : عقيقة ؛ لأنها إن كانت على رأس الإنسيّ حلقت فقطعت ، وإن كانت على البهيمة فإنها تنسلها ، وقيل للذبيحة عقيقة لأنها تذبح فيشق حلقومها ومريئها و وداجها قطعاً ، كما سميت ذبيحة بالذبح ، وهو الشقّ (٣) .

ومنه : عق والده يعق عقوقاً ومعقةً .. وفي الحديث : أنه ﷺ نهي عن عقوق الأمهات ، وهو ضد البر ، وأصله من العقّ ، الشقّ والقطع ، وإنما خصّ الأمهات وإن كان عقوق الآباء وغيرهم من ذوي الحقوق عظيماً – لأن لعقوق الأمهات مزيّة في القبح (٤) .

ولعل هذا كله ؛ هو ما دفع النبي المصطفى ﷺ ، – صاحب الحسّ المرهف – أن يكره تسميته العقيقة بهذا الاسم ؛ لأنها مشتقة من هذه المادة ، لو لا تعارف العرب على هذه التسمية ؟!!

ففي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داؤد والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة ، فقال : لا أحب العقوق وكأنه كره الاسم ، فقالوا : يا رسول الله ! إنما نسألك عن أحدنا يولد له ، قال : "من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل عن الغلام شاتان مكافأتان وعن الجارية شاة" .

(٢) لسان العرب – لابن منظور ، مادة (عقق) : ص/٣٠٤٤ ، بتحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين ، ط/دار المعارف .

(٣) المصدر السابق : مادة (عقق) : ص/٣٠٤٤ .

(٤) نفس المصدر : مادة (عقق) : ص/٣٠٤٣ – بتصرف يسير – .

يقول الإمام الشوكاني : (قوله : وكأنه كرم الاسم) وذلك لأن العقيقة التي هي الذبيحة والعقوق للأمهات مشتقان من العقّ الذي هو الشقّ والقطع ، فقوله ﷺ : "لا أحب العقوق" بعد سؤاله عن العقيقة للإشارة إلى كراهة اسم العقيقة لما كانت هي والعقوق يرجعان إلى أصل واحد ، ولهذا قال ﷺ : "من أحب منكم أن ينسك" إرشاداً منه إلى مشروعية تحويل العقيقة إلى النسيكة وما وقع منه ﷺ من قوله مع الغلام عقيقته وكل غلام مرتهن بعقيقته ورهينة بعقيقته فمن البيان للمخاطبين بما يعرفونه لأن ذلك اللفظ هو المتعارف عند العرب ، ويمكن الجمع بأنه ﷺ تكلم بذلك لبيان الجواز وهو لا ينافي الكراهة التي أشعر بها قوله : لا أحب العقوق (٥) .

هذا ؛ وقد اصطلح علماء الشرع على أن العقيقة هي : ذبح الشاة عن المولود يوم السابع من ولادته (٦) .

دليل مشروعيتها :

لقد ورد في كتب السنن كثير من الأحاديث التي تؤكد مشروعية العقيقة ، وتحثّ على القيام بهذه السنّة العظيمة ، من بين ذلك :

ما رواه البخاري في صحيحه عن سلمان بن عمار الضبيّ قال : قال رسول الله ﷺ : "مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً ، وأميطوا عنه الأذى" .

وروى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : "كل غلام رهينة بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى فيه ، ويحلق رأسه" .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال : "عن الغلام شاتان ، وعن الأنثى واحدة ،

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار – للإمام الشوكاني : ١٣٥/٥ ، ط/المكتبة التوفيقية ، د.ت .

(٦) تربية الأولاد في الإسلام – للشيخ عبد الله ناصح علوان : ٨٨/١ ، الطباعة/٣ المزيدة ، دار السلام بحلب سنة ١٤٠١هـ .

ولا يضرّكم ذكرانا كنّ أو إناثا" .

وروى أبو داؤد عن بريدة الأسلمي قال : كنّا في اجاهلية إذا ولد لأحدنا غلام ذبح شاة ولطّخ رأسه بدمها ، فلما جاء الله بالإسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه ونلطخه بزعفران" .

آراء العلماء في مشروعية العقيقة :

الرأي الأول : وهو رأي جمهور الفقهاء وأكثر أهل العلم والاجتهاد ، ومنهم الإمام مالك ، و أهل المدينة ، و الإمام الشافعي و أصحابه ، و الإمام أحمد ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وجماعة كثير عددهم من أهل الفقه والعلم والاجتهاد ، وذهبوا إلى أنها سنة ومستحبة ، وحجّتهم هذه الأحاديث التي سبق ذكرها (٧) .

غير أن الشيخ السيد سابق يرى أنها سنةً مؤكدةً ولو كان الأب معسراً ، فعلها الرسول الحبيب ﷺ وفعلها أصحابه (٨) .

الرأي الثاني : وهو رأي الظاهرية ، والإمام الحسن البصري ، والليث بن سعد ، وغيرهم .. ويروا أنها واجبة ، وحجتهم في ذلك ما رواه بريدة ، وإسحاق بن راهويه : "أن الناس يعرضون يوم القيامة على العقيقة كما يعرضون على الصلوات الخمس" ، واستدلوا كذلك بحديث الحسن عن سمرة عن النبي الكريم ﷺ أنه قال : "كل غلام مرتهن بعقيقته" ، و وجه الاستدلال : أن الولد محبوس عن الشفاعة لوالديه حتى يعقّ عنه ، فهذا مما يؤيد الوجوب (٩).

الرأي الثالث : ويمثله الإمام أبو حنيفة ، ويرى أن العقيقة ليست فرضاً ولا سنة ، وقيل : إنها عنده تطوع (١٠) .

(٧) انظر : المرجع السابق : ٨٩/١ ، ٩٠ ، ونيل الأوطار : ١٣٢/٥ .

(٨) فقه السنة – الشيخ السيد سابق : ٢٧٩/٣ ، ط/دار الفكر ، د.ت .

(٩) راجع : نيل الأوطار : ١٣٢/٥ ، وتربية الأولاد في الإسلام : ٩٠/١ .

(١٠) نيل الأوطار : ١٣٢/٥ .

ونسب عدم مشروعية العقيقة إلى فقهاء الحنفية ، وذكر أن حجتهم في ذلك حديث رواه البيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ سئل عن العقيقة ، فقال : "لا أحب العقوق" .

واستدلوا كذلك بحديث رواه الإمام أحمد من حديث أبي رافع ﷺ ، أن الحسن بن علي أرادت أمه فاطمة رضي الله عنها أن تعقّ عنه بكبشين ، فقال رسول الله ﷺ : "لا تعقي ولكن احلقي رأسه ، فتصدقي بوزنه من الورق" – أي من الفضة – ، ثم ولد حسين فصنعت مثل ذلك .

يقول الشيخ عبد الله ناصح علوان معلقاً على هذا ومجيباً على هؤلآء : ولكن ظاهر الأحاديث التي سبق ذكرها تؤكد جانب السنية والاستحباب في العقيقة ، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء ، وأكثر أهل العلم والاجتهاد .

وقد أجابوا عن الأحاديث التي استدل بها فقهاء الحنفية في إنكارهم مشروعية العقيقة بقولهم : إن الأحاديث التي استدلوا بها ليس بشئ ، ولا تصح دليلاً على إنكار مشروعية العقيقة ، أما حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : "لا أحب العقوق" فسياق الحديث هكذا : سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال : "لا أحب العقوق ، وكأنه كره الاسم – أي كره أن تسمى الذبيحة بالعقيقة ، فقالوا يا رسول الله ﷺ : إنما نسألك عن أحدنا يولد له ولد ، فقال : "من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل ، عن الغلام شاتان مكافئتان ، وعن الجارية شاة" .

وأما استدلالهم بحديث أبي رافع : "لا تعقي ولكن احلقي رأسه .." فإنه لا يدل على كراهية العقيقة ، لأنه ﷺ أحب أن يتحمل عن ابنته فاطمة رضي الله عنها العقيقة ، فقال لها : "لا تعقي .." ، ولكونه عق ﷺ عنهما ، وكفاها المؤنة ، ومما يؤكد أنه ﷺ عق عنهما كثرة الأحاديث المروية في هذا الشأن نذكر منها ما يلي :

- روى أبو داؤد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما :

أن رسول الله ﷺ عقّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً .

- وذكر جرير بن حازم عن قتادة عن أنس أن النبي الكريم ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشين .
- وذكر يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت : عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين يوم السابع (١١) .

أمور تتعلق بالعقيقة :

١- يذبح عن الولد شاتان متقاربتان شبها وسنا ، وعن البنت شاة ، فعن أم كرز الكعبية قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "عن الغلام شاتان متكافئتان وعن الجارية شاة" . {رواه الإمام أحمد والترمذي}

يقول الشيخ السيد سابق : ويجوز ذبح شاة واحدة عن الغلام لفعل الرسول الكريم ﷺ ذلك مع الحسن والحسين رضي الله عنهما كما ورد في حديث أبي داؤد في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشا (١٢) .

٢- وقت الذبح يكون يوم السابع بعد الولادة إن تيسر ، وإلا ففي اليوم الرابع عشر وإلا ففي اليوم الواحد والعشرين من يوم ولادته ، فإن لم يتيسر ففي أي يوم من الأيام .

ففي حديث البيهقي : تذبح لسبع ، ولأربع عشر ، ولإحدى وعشرين (١٣) .

٣- ينطبق على العقيقة ما ينطبق على الأضحية من شروط : من حيث عمرها وسلامتها من العيوب ، ومن حيث الأكل والتصدق والإهداء منها ، غير أنها تختلف عن الأضحية في أمر يجب مراعاته وهو: ألا يكسر من عظم

(١١) تربية الأولاد في الإسلام : ١/٩٠-٩٢ بتصرف يسير .

(١٢) فقه السنة : ٣/٢٧٩ بتصرف . (١٣) المرجع السابق : ٣/٢٨٠ .

الذبيحة شئ ، سواء حين الذبح ، أو عند الأكل ، بل يقطع كل عظم من مفصله بلا كسر ؛ للحديث الذي رواه أبو داؤد عن جعفر ابن محمد عن أبيه ، أن النبي الكريم ﷺ قال في العقيقة التي عقتها فاطمة عن الحسن والحسين : "أن ابعثوا إلى القابلة منها برجل ، وكلوا وأطعموا ، ولا تكسروا منها عظماً" .

وروى ابن جريج عن عطاء كان يقول : "تقطع جدولاً ، ولا يكسر لها عظم" وروى ابن المنذر عن عطاء عن عائشة مثله (١٤) .

٤- من عمل الجاهلية : تلطيخ رأس المولود بالدم ، فقد كانوا إذا ذبحوا العقيقة أخذوا منها صوفة واستقبلت بها أوداجها ، ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عن رأسه مثل الخيط ، ثم يعلق ثم يغسل رأسه بعد ويحلق ، وقد كره الجمهور التدمية واستدلوا على ذلك بما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن عائشة قالت : "كانوا في الجاهلية إذا عقوا عن الصبي خضبوا بطنه بدم العقيقة فإذا حلقوا رأس المولود وضعوها على رأسه ؛ فقال النبي الكريم ﷺ : "اجعلوا مكان الدم خلوقاً" زاد أبو الشيخ : "ونهى أن يمس رأس المولود بدم" (١٥) .

ما يستحب في العقيقة :

أ- يستحب أن يقول عند ذبحها : بسم الله اللهم هذا منك وإليك عقيقة فلان .

ب- ويستحب ذبحها عند طلوع الشمس .

ج- حلق رأس المولود قبل الذبح وقيل بعده لظاهر الحديث ، ويتصدق بوزنه ذهباً (١٦) .

---

(١٤) ذكر العلماء أن الحكمة من عدم الكسر هي : ١- إظهار شرف هذا الإطعام أو الإهداء ، في نفوس الفقراء والجيران ، وذلك في تقديم القطع التامة الكبيرة ، ٢- التيمن والتفاؤل بسلامة أعضاء المولود وصحتها وقوتها ، لكون العقيقة جرت مجرى الفداء للمولود ، انظر : تربية الأولاد في الإسلام : ٩٦/١ وما بعدها . (١٥) نيل الأوطار : ١٣٣/٥ بتصرف يسير .

(١٦) الفقه الميسر – للشيخ أحمد عيسى عاشور : ص/٣٩١، ط/٤ ، دار المختار الإسلامي ١٣٩٩هـ.

د- يستحب تلطيخ رأس الصبي بالزعفران أو غيره من الخلوق بعد الحلق.

هـ- يستحب تسمية المولود يوم السابع ؛ للحديث الذي رواه أصحاب السنن عن سمرة : أن النبي الكريم ﷺ قال في العقيقة : "كل غلام مرتهن بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق رأسه ، ويسمى" .

و- ويستحب طبخ العقيقة بحلو على الأصح تفاؤلاً بحلاوة أخلاق المولود ! والأفضل أن يبعث به مطبوخاً إلى الفقراء ، نص عليه الشافعي ، فلو دعاهم إليه فلا بأس .

ز- ويستحب أن يحنك المولود بشئ حلو والتمر أفضل لأنه ﷺ كان يحنك أولاد الأنصار بالتمر .

ح- ويستحب أن يؤذن في أذنه اليمنى ويقيم في اليسرى ، وعن الحسن ابن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان" {أخرجه ابن السني} وأمّ الصبيان ، هي التابعة من الجنّ ، وقيل مرض يأخذهم في الصغر .

والحكمة في الأذان : أنه أول قدومه إلى الدنيا ينخسه الشيطان فناسب أن يطرد عنه عند سماع الأذان والإقامة كما جاء في الحديث الصحيح ، وقد أذن رسول الله ﷺ في أذن الحسين حين ولدته فاطمة رضي الله عنهما {رواه أحمد والترمذي وصححه} (١٧) .

الحكمة التشريعية من العقيقة :

١. قربان يتقرب منها المولود إلى الله في أول لحظة يستنشق فيها نسائم الحياة .
٢. فدية يفدى بها المولود من المصائب والآفات ، كما فدى الله إسماعيل عليه السلام بالذبح العظيم .

---

(١٧) المرجع السابق : ص/٣٩١-٣٩٢ .

٣. فكاك لرهان المولود في الشفاعة لوالديه .

٤. إظهار للفرح والسرور بإقامة شرائع الإسلام ، وبخروج نسمة مؤمنة ، يكاثر بها رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة .

٥. تمتين لروابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع ؛ لاجتماعهم على موائد الطعام ابتهاجاً بقدوم المولود الجديد .

٦. إرفاد موارد التكافل الاجتماعي برفد جديد ، يحقق في الأمة مبادئ العدالة الاجتماعية ، ويمحو في المجتمع ظواهر الفقر والحرمان والفاقة .

إلى غير ذلك من هذه الفوائد والثمرات (١٨) .

مما سبق يتضح لنا : سمو العقيقة عن المولود ومكانتها العظيمة ؛ ولذا حثت الأحاديث على القيام بها ، وذهب جمهور الأئمة والفقهاء إلى أنها سنة مستحبة .

من هنا ؛ فإنني أناشد أولي الأمر من المسلمين بما ناشدهم به من قبل الشيخ عبد الله ناصح علوان قائلاً (١٩) :

"فعلى الأب إن ولد له مولود وكان مستطيعاً قادراً ، أن يحيي سنة رسول الله ﷺ ؛ حتى يحظى بالفضيلة والأجر عند الله سبحانه ، وحتى يزيد من معاني الألفة والمحبة والروابط الاجتماعية ، بين الأهل والأقرباء والجيران والأصدقاء جميعاً ، وذلك حينما يحضرون وليمة العقيقة ابتهاجاً بالمولود ، وفرحاً بقدومه ، وحتى يساهم كذلك في تحقيق التكافل الاجتماعي ، وذلك حينما يشرك في الانتفاع بالعقيقة بعض ذوي الحاجة والحرمان من الفقراء والمساكين .

فما أعظم الإسلام ، وما أسمى مبادئه التشريعية في زرع الألفة والمحبة في المجتمع ، وفي بناء العدالة الاجتماعية في الطبقات الفقيرة والمحرومة"

(١٨) تربية الأولاد في الإسلام : ص/٩٩-١٠٠ . (١٩) تربية الأولاد في الإسلام : ص/٩٢ .

لباس المرأة أمام المحارم

(الحلقة الأخيرة)

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله إدريس الندوي

ثانيا – الأدلة من السنة :

الدليل الأول : قوله ﷺ : "إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم" (٧١) .

وجه الدلالة منه : أن النبي الكريم ﷺ نفى الجناح وهو الإثم عن الخاطب خاصة بشرط أن يكون نظره للخطبة ، فدل هذا على أن غير الخاطب آثم بالنظر إلى الأجنبية بكل حال ، وكذلك الخاطب إذا نظر لغير الخطبة مثل أن يكون غرضه بالنظر التلذذ والتمتع ونحو ذلك .

فإن قيل : ليس في الحديث بيان ما ينظر إليه ، فقد يكون المراد بذلك نظر الصدر والنحر ؟

فالجواب : أن كل واحد يعلم أن مقصود الخاطب المريد للجمال إنما هو جمال الوجه ، وما سواه تبع لا يُقصد غالباً فالخاطب إنما ينظر إلى الوجه لأنه المقصود بالذات لمريد الجمال بلا ريب .

الدليل الثاني : أن النبي الكريم ﷺ لما أمر بإخراج النساء إلى مصلى العيد قلن يا رسول الله ! إحدانا لا يكون لها جلباب ؛ فقال النبي الكريم ﷺ : "لتلبسها أُختها من جلبابها" (٧٢) .

فهذا الحديث يدل على أن المعتاد عند نساء الصحابة أن لا تخرج المرأة

(٧١) رواه أحمد ، قال صاحب مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح .

(٧٢) رواه البخاري ومسلم .

إلا بجلباب وأنها عند عدمه لا يمكن أن تخرج ، وفي الأمر بلبس الجلباب دليل على أنه لابد من التستر ؛ والله أعلم .

الدليل الثالث : ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس ، وقالت : لو رأى رسول الله ﷺ من النساء ما رأينا لمنعهن من المساجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها" ، وقد روى نحو هذا عبد الله بن مسعود ﷺ .

والدلالة من هذا الحديث من وجهين :

أحدها : أن الحجاب والتستر كان من عادة نساء الصحابة الذين هم خير القرون وأكرمهم على الله عزّوجلّ .

الثاني : أن عائشة أم المؤمنين وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وناهيك بهما علماً وفقهاً وبصيرة أخبرا أن الرسول الكريم ﷺ لو رأى من النساء ما رأياه لمنعهن من المساجد ، وهذا في زمان القرون المفضلة فكيف بزماننا !!

الدليل الرابع : عن ابن عمر قال ؛ قال رسول الله ﷺ : مَن جرّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ؛ فقالت أم سلمة : فكيف يصنعن النساء بذُيُولهن ، قال : يُرخين شِبراً ؛ فقالت : إذا تنكشف أقدامُهُن ، قال : فيُرخينه ذراعاً لا يزِدن عليه" (٧٣) ، ففي هذا الحديث دليل على وجوب ستر قدم المرأة وأنه أمر معلوم عند نساء الصحابة رضي الله عنهم ، والقدم أقل فتنة من الوجه والكفين بلا ريب ، فالتنبيه بالأدنى تنبيه على ما فوقه وما هو أولى منه بالحكم ، وحكمة الشرع تأبى أن يجب ستر ما هو أقل فتنة ويرخص في كشف

(٧٣) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

ما هو أعظم منه فتنة ، فإن هذا من التناقض المستحيل على حكمة الله وشرعه .

الدليل الخامس : "عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان الرُكبانُ يُمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ مُحرمات فإذا حاذوا بنا سَدَلَتْ إحدانا جِلبابها من رأسِها على وجهها فإذا جاوزُونا كشفناه" (٧٤) .

ففي قولها : "فإذا حاذونا" تعني الركبان ، "سدلت إحدانا جلبابها على وجهها" دليل على وجوب ستر الوجه لأن المشروع في الإحرام كشفه فلو لا وجود مانع قوي من كشفه حينئذ لوجب بقاؤه مكشوفاً حتى مع مرور الركبان .

وبيان ذلك : أن كشف الوجه في الإحرام واجب على النساء عند الأكثر من أهل العلم والواجب لا يعارضه إلا ما هو واجب فلو لا وجوب الاحتجاب وتغطية الوجه عند الأجانب ما ساغ ترك الواجب من كشفه حال الإحرام وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما : أن المرأة المحرمة تنهى عن النقاب والقفازين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يُحرمن وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن .

هذه تسعة أدلة من الكتاب والسنة .

والدليل العاشر : الاعتبار الصحيح والقياس المطرد الذي جاءت به هذه الشريعة الكاملة وهو إقرار المصالح و وسائلها والحث عليها ، وإنكار المفاسد و وسائلها والزجر عنها .

وإذا تأملنا السفور وكشف المرأة وجهها للرجال الأجانب وجدناه يشتمل على مفاسد كثيرة ، وإن قدر أن فيه مصلحة فهي يسيرة منغمرة في

(٧٤) رواه أبو داؤد : ١٥٦٢ .

جانب المفاسد ، فمن مفاسده :

١- الفتنة : فإن المرأة تفتن نفسها بفعل ما يجمل وجهها ويُبهيه ويظهره بالمظهر الفاتن ، وهذا من أكبر دواعي الشر والفساد .

٢- زوال الحياء عن المرأة ، الذي هو من الإيمان ومن مقتضيات فطرتها، فقد كانت المرأة مضرب المثل في الحياء فيقال : "أشد حياءً من العذراء في خدرها" وزوال الحياء عن المرأة نقص في إيمانها وخروج عن الفطرة التي خلقت عليها .

٣- افتتان الرجال بها لا سيما إذا كانت جميلة وحصل منها تملق وضحك ومداعبة كما يحصل من كثير من السافرات ، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .

٤- اختلاط النساء بالرجال فإن المرأة إذا رأت نفسها مساوية للرجل في كشف الوجه والتجول سافرة لم يحصل منها حياء ولا خجل من مزاحمة الرجال ، وفي ذلك فتنة كبيرة وفساد عريض ، فقد أخرج الترمذي : "عن حمزة ابن أبي أُسيْد الأنصاري عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق ؛ فقال رسول الله ﷺ للنساء : استأخرن فإنه ليس لكُن أن تحْفُفْن الطريق ، عليكن بحافّات الطريق ، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبَهَا ليتعلّق بالجدار من لُصُوقها به" (٧٥) .

أدلة القائلين بجواز كشف الوجه :

الدليل الأول : قوله تعالى في آية الزينة : ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ .

وجه الدلالة من الآية : قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ففيه استثناء بعض مواضع الزينة وهما الوجه والكفان كما ثبت عن بعض الصحابة ،

(٧٥) الترمذي : ٥٢٧٢ ، حسنه الألباني في صحيح الجامع : ٩٢٩ .

فالواجب أن تغطى المرأة رأسها بالخمار ، ولتشد بخمارها على فتحة صدرها (النحر) والصدر فلا يرى منه شئ ، ومن يقول بأن الخمار يغطى الوجه فقد جانب الصواب فالخمار كما في كتب اللغة وعند جمهور المفسرين والمحدثين والفقهاء هو غطاء الرأس (٧٦) .

الدليل الثاني : عن عبد الله بن عباس ﷺ قال : كان الفضل رديف النبي الكريم ﷺ ، فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، فجعل النبي الكريم ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت : يا رسول الله ﷺ ! إن فريضة الله على عباده في الحج ، أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال ﷺ : نعم ، وذلك في حجة الوداع (٧٧).

وفي رواية أردف رسول الله ﷺ الفضل بن عباس يوم لنحر خلفه على عجز راحلته وكان الفضل رجلاً وضيئاً ، فوقف النبي الكريم ﷺ للناس يفتيهم ، وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ ، فطفق الفضل ينظر إليها ، وأعجبه حسنها ، فالتفت النبي الكريم ﷺ - والفضل ينظر إليها - فأخلف بيده ، فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها ، فقالت : يا رسول الله ﷺ ! إن فريضة الله في الحج على عباده ، أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحلة ، فهل يقضي عنه أن أحج عنه ؟ قال ﷺ : نعم . (٧٨) .

وفي رواية علي : وجعلت تنظر إليه أعجبها حُسنه ، قال العباس : يا رسول الله ﷺ ! لِمَ لويت عنق ابن عمك ؟ فقال : رأيت شاباً وشابةً فلم آمن الشيطان عليهما (٧٩) .

(٧٦) انظر : المصباح المنير – للفيومي .

(٧٧) رواه البخاري في صحيحه ، رقم/١٤٤٢ .

(٧٨) رواه البخاري في صحيحه ، رقم/٥٨٧٤ .

(٧٩) أخرجه الترمذي في الحج ، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف ، وقال حديث على حديث حسن صحيح .

وجه الدلالة : الحديث ذكر في حجة الوداع وآية إدناء الجلباب إنما نزلت سنة ثلاثة وقيل : خمس حين بنى ﷺ بزينب بنت جحش كما ترجمها العلامة الألباني في (الإصابة) ، وحجة الوداع مؤخرة عنها فلو كان وجه المرأة عورة لأمرها الرسول الكريم ﷺ بتغطية وجهها ، فإن هذا هو وقت البيان والقاعدة عند الأصوليين لا يجوز تأخير البيان وقت الحاجة فكيف بالكتمان ؟

الدليل الثالث : حديث فاطمة بنت قيس : فقد طلقها البتة أبو عمرو ابن حفص وهو غائب ، فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته ، فقال : والله ما لك علينا من شئ ، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال : ليس لك عليه نفقة ، فقال لها : انتقلي إلي أم شريك ، وأم شريك امرأة غنية ، من الأنصار ، عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضيفان ، فقلت : سأفعل ، فقال : لا تفعلي ، إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان ، فإني أكره أن يسقط عنك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ، ولكن انتقلي إلى ابن عمك ، عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم (٨٠).

وفي الحديث أنها لما انتقلت إليه ، ولما انقضت عدتها سمعت نداء المنادي ينادي : الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فلما قضى صلاته جلس على المنبر فقال : إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميم الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال ... الحديث رواه مسلم .

وجه الدلالة : قوله ﷺ (يسقط عنك خمارك) والخمار ما يغطي الرأس ، وليس الوجه عند إطلاقه ، وهذه القصة في آخر حياته ﷺ ؛ لأن فاطمة قيس ذكرت أنها بعد انقضاء عدتها سمعت النبي الكريم ﷺ يحدث بحديث تميم الداري ، وأنه جاء وأسلم ، وقد ثبت في ترجمة تميم أنه أسلم سنة تسع فدل ذلك على

(٨٠) رواه مسلم في صحيحه ، رقم/٢٩٤٢ باب قصة الجساسة .

تأخر القصة عن آية الجلباب فالحديث إذن دل على أن الوجه ليس بعورة ، وهو المطلوب إثباته .

الدليل الرابع : حديث جابر بن عبد الله قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله ، وحث على طاعته ، وعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال : تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من سطة النساء أي : جالسة في وسطهن ، سفعاء الخدين ، أي : فيهما تغير وسواد ، فقالت : لم يا رسول الله ﷺ ؟ قال : لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال : فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن (٨١) .

وأمر النساء بالخروج إلى العيد إنما كان بعد فرض الجلباب في السنة السادسة كما حقق ابن القيم في زاد المعاد .

وجه الدلالة : أمر النساء بالخروج إلى العيد إنما كان بعد فرض الجلباب في السنة السادسة كما حقق ابن القيم في زاد المعاد ، والمرأة كان في خديها سواد وتغير فكانت كاشفة الوجه مما يدل على أن تغطية الوجه ليست واجبة .

الدليل الخامس : حديث المرأة التي وهبت نفسها للنبي الكريم ﷺ : يا رسول الله ﷺ ! جئت لأهب نفسي لك فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه ؛ فقال أي رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، قال هل عندك من شئ ؛ فقال : لا والله ما وجدت شيئاً فقال : انظر ولو خاتماً من حديد فذهب ثم رجع ؛ فقال : لا ... (٨٢) .

(٨١) سنن النسائي ، رقم/١٥٧٥ .

(٨٢) الحديث في سنن النسائي : رقم/٣٣٣٩ .

وجه الدلالة : نظر إليها فالمرأة كانت كاشفة الوجه .

الدليل السادس : حديث لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين (٨٣) .

وجه الدلالة : لو كان النقاب فرضاً ما جعل من محظورات الإحرام فالمحظورات لا تقع إلا على المباحات والمندوبات ، فلا يمكن أن يكون النقاب فرضاً ثم يحرم في الإحرام ، والنهي لم يعقب بلزوم تغطية الوجه ، والقاعدة لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة .

وكيف تجعل الشريعة عقوبة المعصية في الحرم مضاعفة ، ولم توجب على النساء تغطية الوجه في الحج ، والنساء يكن بجانب الرجال ، والناس في الحرم منهم من يأتي ليسرق ومنهم من يأتي لمنفعة ومنهم من يأتي لكي يقول الناس أنه حاج ومنهم من يأت للحج لكنه رجل شهواني فداعي التغطية في الحرم أشد من التغطية في غير الحرم لمضاعفة العقوبة في الحرم ؟!!!

القول الراجح في المسألة :

من خلال عرضنا لأدلة قولي العلماء يتبين أن كلا الفريقين استدل بأدلة قوية ، ولا يمكن لأحد من الفريقين إسقاط أدلة الفريق الثاني بالكلية ، ومن اختار أي واحد من الرأيين فلابد له من احترام الرأي الآخر ، ولكن مما تجب الإشارة إليه أن القائلين بإباحة الكشف أيضاً يقرون بوجوب التغطية عند خوف الفتنة والأذي .

فهذا الشيخ الألباني رحمه الله تعالى – وهو من القائلين بجواز الكشف – يقول : ولو أنهم قالوا : يجب على المرأة المتسترة بالجلباب الواجب عليه إذا خشيت أن تصاب بأذى من الفساق لإسفارها عن وجهها : أنه يجب عليها في هذه الحالة أن تستره دفعاً للأذى والفتنة ، لكان له وجه في فقه الكتاب والسنة .. بل قد يقال : إن يجب عليها أن لا تخرج من دارها إذا خشيت أن يخلع من

(٨٣) رواه البخاري وأبو داؤد والترمذي .

الجلباب من رأسها من قبل بعض المتسلطين الأشرار المدعمين من رئيس لا يحكم بما أنزل الله ، كما وقع في بعض البلاد العربية منذ بضع سنين مع الأسف الشديد .. أما أن يجعل هذا الواجب شرعاً لازماً على النساء في كل زمان ومكان ، وإن لم يكن هناك من يؤذي المتجلببات فكلا ثم كلا .. (٨٤) ، وما لا شك فيه أن زماننا زمن فتنة ، حيث تعرض الفتيات للتحرش والأذى أمر معروف ومشاهد .

وكذلك يرون أن التغطية هو الأحسن ، فيقول الشيخ الألباني بعد ما أورد الأدلة عليه : فيستفاد مما ذكرنا أن ستر المرأة لوجهها ببرقع أو نحوه مما هو معروف اليوم عند النساء المحصنات ، أمر مشروع ومحمود ، وإن كان لا يجب ذلك عليها ، بل من فعل فقد أحسن ، ومن لا فلا حرج (٨٥) .

وكذلك ليس هناك خلاف بين العلماء أن المرأة الجميلة التي لا يشك في جمالها ، يجب عليها تغطية وجهها (٨٦) .

فعلى أساس ما ذكر ، لم يبق الخلاف إلا في نطاق محدود ، والأنسب لزماننا والأحوط لنسائنا وبناتنا هو اختيار تغطية الوجه أمام الأجانب .

وقبل إنهاء البحث يجب أن أنبه أن الخلاف الدائر بين الوجوب والاستحباب هو الخلاف المعتبر بين علماء المسلمين من الناحية العلمية ، أما القول ببدعية النقاب أو الزعم بأن تغطية الوجه عادة وليس عبادة قول مغرض ولا ينبني على دليل يعتمد عليه ، والموضوع يتطلب بحثاً مستقلاً ، أرجو الله أن يهيء فرصة للكتابة فيه .

وصلى الله تعالى على خير خلقه ونور عرشه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(٨٤) جلباب المرأة المسلمة – للشيخ الألباني : ص/١٧ .

(٨٥) نفس المصدر السابق : ص/١١٤ .

(٨٦) كشف العطاء عن قضايا الحجاب والاختلاط والخلوة والغناء – للدكتور بدران العياري : ص/٦٩ .

الفقه الإسلامي :

مخالفات المناسك والحجاج

بقلم : أ.د. علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
الأستاذ بقسم العقيدة - بالرياض

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مضل له ، ومَن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .. أما بعد :

فإن معرفة الخطأ والشر مقصود منها محاذرته وتجنبه ، وحتى لا يأتي العبد إلا بالطاعة على وجهها الشرعي الصحيح ، كما ثبت في الصحيح عن حذيفة ﷺ قال : "كان الناس يسألون النبي الكريم ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه" ، وقد قال الأول : عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يدري الخير من الشر يوشك أن يقع فيه ، ولذا أحب التنويه في هذا اللقاء عن أخطاء تقع من قاصدي النسك بالحج والعمرة .. فمن أهم الأخطاء الواقعة لقاصدي الحج أو العمرة ، والمسافرين لهما :

١- أن يكون مراده وقصده في أداء عبادة الحج أو العمرة ، أو غيرهما الذكر والمدح من الناس أو الرياء والسمعة ، ويتطلع لذلك وأن يمدح به ، هذا خطر عظيم يقدح في التوحيد وأصل الإيمان بالله ، مع الهم العظيم بمراقبة الناس : "ومن راءى راءى الله به ، ومن سمع سمع الله به" .

٢- اختيار رفقة أو صحبة غير صالحة ، ولا تتناسب وهذه العبادة الجليلة ، من أهل الفسق والفجور ، والتخلف عن الصلوات ، أو أصحاب اللهو واللعب وكثرة المزاح وقسوة القلوب ، فإن هؤلآء وأمثالهم ممن يصرفون

عن العبادة ، ويشغلون الأوقات الفاضلة في الزمن الحرام ، والمكان الحرام ، بما يضر أو بما لا ينفع !

٣- بذل المال الحرام من الكسب الخبيث شرعاً لأداء النسك ، والله عزّوجلّ طيب لا يقبل إلا طيباً ، فيجب انتفاء أطيب مكاسب العبد لهذه العبادة ، بل ولجميع شأنه الدنيوي والتعبدي .

٤- تأخير الحج والعمرة حتى يهرم الإنسان أو تدركه الشيخوخة وسن العجز ، كما نلحظ في طوائف من الحجيج ، والواجب المبادرة لقضاء فرض الحج والعمرة بمجرد الاستطاعة المالية والبدنية .

٥- سفر المرأة بمفردها أو مع نساء مثلها ، بلا محرم شرعي هو : من يحرم عليه النكاح منه على التأبيد ، وصح عن النبي الكريم ﷺ قوله : "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا مع ذي محرم" ، و وجود المحرم للمرأة شرط في الحج من جهة استطاعتها عليه ، وكذا في العمرة .

ومن الأخطاء الواقعة في ركن الإحرام بالنسك :

١- تأخير الإحرام عن ميقاته الزماني والمكاني ، فكما لا يصح الحج في غير زمانه المحدد له شرعاً ، فلا يصح الحج في محرم أو رجب أو رمضان ، كذلك لا يصح الإحرام بالحج والعمرة من غير المواقيت المكانية التي وقتها النبي الكريم ﷺ وهي خمسة : ذو الحليفة والجحفة ، ويلملم ، وذات عرق ، و وادي محرم ، لمن أتى عليهن أو حاذاهن بطائرة أو سفينة أو سيارة .

٢- تطييب ملابس الإحرام بالعطر والطيب ، ومس الطيب من محظورات الإحرام ، والواجب غسلها منه .

٣- تحديد بعض الناس لباساً محدداً للنساء تحرم به ذا لون محدد كالأبيض أو الأخضر أو الأبيض أو الأسود ، أو ذا هيئة محددة ، وليس للباس المرأة في إحرامها لون أو هيئة محددة سوى البعد التام عن مظهر الزينة والسفور .

٤- الاشتغال أثناء الإحرام بالفحش والزور من القول والفعل ، وترك

التلبية والذكر والدعاء والتهليل والتحميد والتسبيح وقراءة القرآن الكريم .

ومن أهم الأغلاط في شعيرة الطواف بالبيت الحرام :

١- رفع بعض الحجاج يديهم تحية للبيت وللكعبة عند رؤيتها ، مـــع أن المشروع الدعاء بالدعاء الوارد عن النبي الكريم ﷺ عند دخول الحرم بتقـــديم الرجل اليمنى ، وقول : بسم الله اللهم صل على رسول الله ، اللهم اغفـــر لي ذنوبي وأدخلني أبواب رحمتك .

٢- مزاحمة الحجيج ومدافعتهم وأذيتهم أثناء الطواف ، ولا سيما عنـــد استلام الحجر الأسود والركن اليماني ، وكذا رفع الصوت بالدعاء والذكر من الرجال والنساء .

٣- تضييق بعض الحجاج على نفسه وعدم مراعاة إخوانـــه بالـــصلاة أمامهم في زحمة المطاف ولا سيما خلف المقام ، مع عدم المبالاة بالزحام وكبار السن .. إلخ .

٤- تمسح وتبرك بعض الحجاج بجدار الكعبة أو لباســـها أو المقـــام أو أبواب الحرم وجدرانه ، وهذا ربما قدح في توحيد الحاج وإيمانه بالله ، وأخرجه عن مقصود حجه .

٥- ومن الأخطاء دخول بعض الطائفين داخل حجر إسماعيل (الحطيم) مما يفسد ذلك الشوط المترتب عليه فساد الطواف .

٦- ومن الأخطاء دخول الطائف للركعتين في مواطن الزحام الشديدة ، أو وهو عاري المنكبين من إحرامه ، وربما صلاهما وليس عليه سوى الإزار؟!

٧- وبعضهم ربما طاف بالبيت وعليه جنابة أو حيض ونفاس ، وطواف هؤلآء غير صحيح !

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض المحرمين في السعي :

١- اعتقاد أن لكل شوط سواء من الطواف بالبيت أو الـــسعي بـــين الصفا والمروة دعاءً مستقلاً ، كما يظهر في كتب الأدعية ، والمشروع أن يدعو

كل بما يحتاجه ويناسبه ، ويتأسى بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام بجوامع الدعاء.

٢- وكذا من الأخطاء في الطواف والسعي ، الذكر والـــدعاء جماعيـــاً وبصوت مرتفع ، فربما أزعج الحجيج والعمار .

٣- وبعض الحجاج لجهلهم يبدأون بالمروة قبل الصفا ، وهـــذا مخالفـــة صريحة لعبادة السعي ، وإبطال له .

٤- وبعضهم ربما يتم السعي بين الصفا والمروة فيرجع في أثناء الـــشوط ولا يتم الشوط إلا باستيعاب ما بين الصفا والمروة .

٥- اعتقاد بعض الناس عدم قطع الطواف أو السعي عند إقامة الـــصلاة والواجب أداء الصلاة مع الجماعة ، ثم إكمال الطواف والسعي بعدها .

٦- تمسح بعض الحجيج بجدران المسعى وأبواب الحرم أو تقبيل الأعمدة أو جبل الصفا والمروة ، وهذه خرافات وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان.

٧- دوران من يسعى في الأدوار العليا حول القبب عند الصفا أو المروة مع اعتقاد عدم صحة السعي بلا هذا الطواف ، وهذا خطأ شنيع بدأ يفشو بين الحجاج .

٨- اشتغال الحاج بالكلام مع الرفقة أو بالنظر والمشاهدة خلال أشواط السعي بدل الذكر والدعاء وقراءة القرآن الكريم .

والنبي الكريم ﷺ يقول فيما صح عنه : "إنما جُعل الطـــواف بالبيـــت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات ، لإقامة ذكر الله عزّوجلّ" .

وأهم الأغلاط الواقعة بعرفة : و (الحج عرفة) كما قال النبي الكريم ﷺ :

١- إتعاب الحاج نفسه ومن معه بالذهاب إلى الجبل للوقوف عنـــده ، والنبي الكريم ﷺ يقول : "وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف" ، مع ما يحـــصل هناك من المزاحمة والمدافعة والتسبب بالهلكة وسوء الخلق والفحش في القـــول والفعل .

ومن الأخطاء أيضاً تسمية الجبل بجبل الرحمة ، وهذا ليس عليه دليل .

٢- الوقوف خارج عرفة إما في الوادي (وادي عرفة) أو جنوب عرفـــة والنبي الكريم ﷺ يقول : "عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرفة" ، علمـــاً بأن مسجد نمرة جزء كبير من مقدمته وقبلته في عرفة خارج عن عرفة .

٣- الاشتغال في يوم عرفة بالأكل والشرب والتمشي على المخيمـــات دون الذكر والدعاء والاستغفار ، ومن ذلك أيضاً تقطيع ذلك اليـــوم العظـــيم بالنوم أو الضحك والمزاح الكثيرين ..

٤- الدفع من عرفة قبل غروب الشمس والعجلة والإســـراع ركـــضاً بالسيارة واستخدام الأبواق والمسابقة وأذية الحجاج بالقول والفعل .. والـــنبي الكريم ﷺ لما دفع من عرفة بعد استحكام غروب الشمس أشار للناس بيـــده ، وقال : "السكينة السكينة ، فليس البر بالإيضاع" .

٥- ذهاب بعض الحجاج يوم عرفة لمكة اعتقاداً بفضل ذلك ، وبعضهم يقف بعرفة في الصباح ثم يغادرها لمزدلفة ثم منى لرمي الجمرات فينتـــهي مـــن ذلك كله قبل عصر يوم عرفة ، وهذا خطأ شنيع يفسد الحج لأنـــه لم يقـــف بعرفة الوقوف الصحيح ، والذي يبدأ من زوال اليوم التاسع يـــوم عرفـــة إلى طلوع فجر يوم العيد ، كما دل عليه حديث عروة بن المضرس رضي الله عنه .

ومن الأخطاء التي تقع في مشعر الوقوف بمزدلفة :

١- إن من الحجاج الذين عليهم هديه ﷺ البدء بالأذان ثم إقامة صـــلاة المغرب ثم العشاء حتى قبل الاستعداد للنـــزول وحصي الجمـــار لا يـــشترط جمعها من المزدلفة ، وإنما من أي مكان في الطريق أو منى ، وعليه فـــإن مـــن الأخطاء تأخير أداء صلاتي المغرب والعشاء في مزدلفة حتى إن بعضهم ربمـــا لم يصلهما إلا بعد مضي أكثر الليل ؟!

٢- قضاء بعض الحجاج حوائجهم أمام الناس في مزدلفة دون مراعـــاة لستر العورة والأدب العام .

٣- اعتقاد بعضهم أن الوقوف بالمزدلفة وذكر الله لابـــد أن يكـــون في

مسجد المشعر الحرام فقط والصحيح أن عرفة والمزدلفة كلها موقف ، كما قال ﷺ : "وقفت هاهنا وجمع كلها موقف" .

٤- وأهم الأخطاء في هذا الموضوع عدم وقوف بعضهم البتة بالمزدلفة ، وهؤلآء تركوا شعيرة من شعائر الحج ، ومنهم من يقف خـــارج المزدلفـــة ولا يتحرم حدود المزدلفة وإعلامها ، والواجب أن يتقي الله العبد ما استطاع .

وأهم الأخطاء التي تقع من الحجاج يوم العيد ، هو يوم الحـــج الأكـــبر ، لاشتماله على أكثر أعمال الحج :

١- اعتقاد أنه لابد من ترتيب الأعمال يوم العيد : رمي لجمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف ، وهذا الترتيب إن تيسر فهو ســـنة مـــستحبة وإلا فليس بلازم لا سيما مع حصول الزحام والضيق فيه ، فلو طاف ثم حلـــق أو حلق ثم رمى فلا بأس ، فإن النبي الكريم ﷺ ماسئل يوم العيد عن شئ قُـــدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج ، رفعا للحرج ودفعا للمشقة عن أمته ، وهذا يتأكد مع وجود أسباب الزحام والتدافع والمشقة .

٢- مزاحمة كبار السن والنساء في رمي جمار العقبة في أول النهار يـــوم العيد ، ولو تقدم هؤلآء بالرمي بعد مضي نصف الليل ، المزدلفة ، أو بعد زوال الشمس يوم العيد ، لحصل انفراج كبير على الحجاج ، وأداء للنسك بـــسهولة ويسر .

٣- ذبح هدي الحج تمتعياً أو قراناً خارج حدود حرم مكة ، وكذا ذبح بعضهم فدية الجبران لترك واجب أو فعل محظور من محظورات الأحرام خارج حدود مكة والذبح والنحر لابد أن يكون داخل حدود الحرم لقولـــه تعـــالى : ﴿ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ وفي الحديث : "فجاج مكة كلها طريق ومنحر" .

٤- كذلك من الأخطاء في هذا تقديم الذبح قبل طلوع الـــشمس يـــوم العيد أو تأخيره على غروب شمس يوم الثالث عشر من ذي الحجة ، فهـــذان حدا وقت الذبح الزماني ، وما سبق حده المكاني .

٥- ذبح الإبل أو البقر والغنم ، وهذه هي بهيمة الأنعام فقط ، وهي لم تستوف السن المحدد شرعاً أو بوجود العيوب غير المجزئية لها بأداء النسك .

٦- أهم الأغلاط يوم العيد شدة التزاحم على الرمي وطواف الإفاضة .

وألفت الانتباه إلى أهم الأغلاط التي يقع فيها الحجاج عند رمي الجمار :

١- تكسير الحصي من الجبال ، أو غسلها ، أو اختيار الحصى الكـــبيرة التي تؤذي بحملها أو بالرمي بها ، والمشروع في حجم الحصاة أن تكون بقـــدر حبة الحمص أو البندق .

٢- اعتقاد أن المرمى في الجمار الثلاث : الصغرى والوسطى والكـــبرى – العقبة – هو الشيطان ، ولذا نرى ونسمع من حماقات الرماة الشئ المـــزري والمضحك ، والمقصود بالرمي هو طاعة الله واتباع رسله وإقامة ذكره بالتسمية والتكبير والدعاء في هذه المواقف والمشاعر .

٣- ومن الأخطاء الشائعة اخلال ترتيب الجمار ، فيرمـــي الكـــبرى ثم الوسطى ثم الصغرى وهذا لا يصح بل لابد البدء بالصغرى ثم التثنية بالوسطى ثم الختم بالكبرى مع مراعاة وقت بدء الرمي للجمار الثلاث بعـــد زوال أيـــام التشريق وامتداد الرمي إلى طلوع فجر اليوم الثاني ، وملاحظة جواز جمع رمي يومين في يوم لأهل الإعذار ممن يقومون على خدمة الحجيج وشئونهم .

٤- ومن الأخطاء الشائعة ولا سيما عند المترفين التوكيل في رمي الجمار من غير حاجة متحققة ، وخفي على هؤلآء أن أداء عبادة الرمي من شعائر الله عزَوجلّ ، والله سبحانه يقول في آية : ﴿ ذَلِكَ * وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ * فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوْب ﴾ {الحج/٣٢} .

٥- ومن الملاحظ ، المهمة في هذا المقام ضعف استشعار القربة والعبادة لله عند رمي الجمار مما يحصل معه التدافع والتزاحم وعدم رحمة الكبير والصغير والضعفة من النساء والرجال ولو تحسس الحاج القربة والعبادة ورحمة إخوانـــه

لزال كثير من الشر والضرر عن الناس في هذه المواقف الـــشريفة وفي المكـــان الحرام والزمان الحرام .

٦- ومن الأخطاء هاهنا رمي الشخص والمقصود وقـــوع الحـــصاة في المرمي ، كذلك زيادة بعضهم على السبع حصيات من باب قصد الزيادة وهي من البدع أو تحريم الرمي من فوق .

ومن الأخطاء الواقعة من الحجاج في مشعر المبيت بمنى ليالي أيام التـــشريق ، وهو واجب من واجبات الحج :

١- تهاون بعض الحجاج بواجب المبيت بمنى ليالي التشريق ، فإن مجـــرد المبيت عبادة وشعيرة ، بل ومنهم من يسافر يوم العيد ولا يبيت بقيـــة الليـــالي ويوكل في الرمي ، وترك المبيت مع القدرة عليه إثم ويوجب الكفارة بالـــدم ، كبقية ترك الواجبات .

٢- اشتغال بعض الحجاج في أيام وليالي التشريق بمنى بالحرام قولاً وفعلاً وحالاً من كذب وسخرية وهزو وافتراء ولعب بالورق ونظراً إلى حرام وأذيـــة عباد الله ، مع أن الواجب في شعيرة منى ذكر الله وتوحيده ودعاؤه وتعظيمـــه والانطراح بين يديه سبحانه بالتوبة ، لعله أن يرجع من حجه مغفوراً له كيوم ولدته أمه ، كما ثبت عن النبي الكريم ﷺ .

٣- من الحجاج من يذهب للطواف نافلة في ليالي أيـــام التـــشريق أو للتسوق أو للنـــزهة أو التمشي خارج منى ، فيفوته المبيت مع قدرته عليـــه ، وهذا يوجب ترك الواجب من غير مبرر شرعي معتبر ومنهم من يمضي الليـــل باللهو واللعب بالحرام وتقطيع الأوقات .

٤- ومن الأخطاء عند البعض اعتقاد بقائهم على لباس الإحرام حتى بعد فعل اثنين ثلاثة : الرمي لجمرة العقبة ، أو الحلق ، ، أو الطواف ، ومن ظـــن ذلك وقع في البدعة بالزيادة على الشريعة ، والاستدراك على النبي الكريم ﷺ.

٥- ومن ذلك أيضاً تحريم بعضهم الرمي للجمار الثلاث في أيام التشريق بالليل والتشديد في ذلك على المسلمين.من غير دليل صحيح صـــريح ودلالـــة النصوص تقتضي الجواز !

٦- ومن الأخطاء الشهيرة لطول هـــذه الـــشعيرة وجـــود الخلافـــات والمشاحنات والقيل والقال ، والفرقة وسوء الخلق مع الحجـــيج ممـــا يـــسبب الفسوق أو الرفث ، وفي الآية : ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوْقَ وَلاَ جِدَالَ فِيْ الْحَجّ ﴾ {البقرة/١٩٧} ، وصح عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام قوله : "من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" ، هذا وثمة أخطاء تقـــع عند الطواف ، سواء كان طواف الإفاضة وهو ركن الحج ، أو طواف الوداع وهو واجب من واجبات الحج :

١- الطواف على حدث أكبر من جنابة أو حيض أو نفاس ، ولا يصح الطواف في هذه الحال ، إلا في حالة وحيدة معتبرة عند أهل العلم في الضرورة.

٢- تعمد المزاحمة وأذية الطـــائفين بـــدفعهم أو الـــصلاة في طـــريقهم والواجب رحمة الصغير والكبير والضعيف والبعد عن كل ما يسبب إزعـــاجهم من قول أو فعل .

٣- ومن الأخطاء اعتقاد البعض حرمة الطواف للإفاضة ليلاً وهذا قول باطل واعتقاد فاسد ، فالطواف مشروع ليلاً ونهاراً ، والنبي الكريم ﷺ يقول : "لا تمنعوا أحداً طاف بالبيت من ليل أو نهار أن يصلي"

٤- تهاون بعض الحجاج بالوقوع على أهله – زوجته – قبل الفراغ من طواف الحج ، وهو طواف الإفاضة ، فإن فعل وكان قد تحلل التحلـــل الأول بالرمي والحلق فعليه دم ، فإن لم يكن قد تحلل فعليه سؤال العلماء ليقفوا على عذره،وحاله ثم الحكم له بمقتضى ذلك !

٥- سفر بعض الحجاج بلا وداع للبيت ، والوداع آخر أعمال الحج فلا

يصح وداع بعد رمي جمار أو مبيت بمنى أو المبيت بمكة وسكنى بها مدة خارجة عن المعتاد وإلا فعليه إعادة الطواف ، وهذا الطواف للوداع مخفف عن الحائض والنفساء .

٦- تعمد ترك الطواف للوداع والفدي عنه بدم ، لا يخرج عن طائلـــة الإثم فتلزم التوبة .

٧- ومن الأغلاط الوخيمة الاستهانة بتعظيم شعائر الله ، وحـــرم الله ، بالإفتاء بغير علم من غير أهل العلم الموثوقين والمعتبرين بـــدعوى التيـــسير أو التشديد ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه .

٨- ومن الأخطاء الشائعة التهاون بفرائض الله ، كتـــرك الـــصلوات أو النوم عنها ، أو التخلف عن الجماعات ، والتعرض لسخط الله بالوقوع فيمـــا حرمه ، دون مراعاة لحرمة الزمان والمكان !

ومن الأخطاء التي يقع فيها زائرو مسجد النبي الكريم ﷺ بمدينته :

١- يعتقد كثير من الحجاج وجوب زيارة المدينة بعد الحـــج أو قبلـــه ، وهذا الاعتقاد باطل لأن زيارة المدينة والصلاة بمـــسجد الـــنبي الحبيـــب ﷺ ومسجد قباء من السنن أي المستحبات ، ليست واجبة ولا علاقة لها بالحج .

٢- عقد البعض نياتهم على زيارة قبر النبي الكريم ﷺ من سفرهم مـــن بلادهم وهذا مخالف لقول النبي الكريم ﷺ : "لا تشد الرحـــال إلا إلى ثلاثـــة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى" ، وبعـــضهم يورد حديثاً : "من حج فلم يزرني فقد جفاني" وهو حديث موضوع مكذوب على النبي الكريم ﷺ لا أصل له .

٣- ومن الأخطاء الواقعة كثيراً فيمن زار المسجد النبوي التمسح بالقبر النبوي وبأبواب المسجد وجدرانه ، أو الطواف بالقبر أو استقباله من نـــواحي المسجد عند السلام أو الدعاء وهذه كلها من البدع والخرافات التي تقـــدح في أصل التوحيد أو كماله الواجب ، وكذا ما يحصل مثلـــه في مقـــبرتي البقيـــع

وشهداء أحد .

٤- ومن الأخطاء الشائعة اعتقاد زيارة الأماكن التاريخيـــة في المدينـــة كجبل أحد ومسجد القبلتين والمساجد السبعة .. إلخ ، والذي تستحب زيارته لمن كان في المدينة :

١- مسجد النبي الحبيب ﷺ .

٢- ومسجد قباء .

٣- ومقبرة البقيع .

٤- وشهداء أحد بالدعاء لهم والسلام عليهم والاعتبار بهم فقـــط دون قراءة الفاتحة أو سؤالهم أو طلب الحوائج والمدد والغوث منهم ، فـــذاك مـــن الشرك بهم مع الله في العبادة .

٥- رفع الصوت واللفظ والمزاحمة والمدافعة عند زيارة قبر النبي الكـــريم ﷺ وصاحبيه لمن كان في المدينة ، والواجب الأدب التام والاحترام للمسلمين والوقار في مسجد النبي الكريم ﷺ تعظيماً لله وتوقيراً لرسول الله ﷺ .

٦- ومن المظاهر الغاشية استقبال الزائر للمسجد النبـــوي لقـــبره ﷺ و وضع يده اليمنى على اليسرى كحاله في الصلاة حال الـــسلام أو الـــدعاء ولا سيما عقب الصلوات الخمس ، وهذا من البدع النكراء المفضية للغلو بـــالنبي الكريم ﷺ ورفعه عن منـــزلته اللائقة .

وفق الله الجميع لاجتناب هذه الأغلاط والحذر من الوقوع فيها وعبـــادة الله على بصيرة ، والله أعلم .

***

وصلى الله تعالى على خير خلقه ونور عرشه محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

***

هل الرواية العربية ما بعد الحداثية عكس حقيقي للحياة العربية المعاصرة ؟

بقلم : الدكتور مجيب الرحمان الندوي
أستاذ مشارك بمركز الدراسات العربية والافريقية
جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي، الهند

لقد احتلت الرواية مكان الصدارة من بين الأصناف الأدبية الأخري فصارت الرواية ملحمة العصر الحديث كما صارت ديوان العرب في العصر الحاضر بفضل قدرتها "على التعبير عن أزمات الإنسان وقضايا الواقع من خلال حساسية خاصة تجيد طرح الأسئلة وإثارة الانتباه" (١) بعد أن تباهى الشعر بكونه ديوان العرب في العصر الجاهلي والعصور التالية لقد استطاعت الرواية العربية أن تعكس بأمانة ودقة وصدق كل ما دار ويدور في المجتمعات العربية من أحداث وتحولات اجتماعية وسياسية وثقافية وفكرية وغيرها وتعبر عن أزمات الإنسان العربي المعاصر وقضايا الواقع ، وتعكس ما للمجتمعات العربية من آلام وآمال ، وإخفاقات ونجاحات ، وما لها من طموحات وتطلعات ، وتكشف لنا مدى عمق التجارب البشرية المتنوعة، وبذلك قامت الرواية بدور جهاز التصوير للمجتمع الذي يسجل على ذاكرته كل ما يدور ويحدث فيه من صغير وكبير ، وما من شك في أن الرواية العربية اليوم باتساع مساحتها الجغرافية أظهرت نضجا وثراء فريدا يتمثل في الكم الهائل من الإبداعات الناضجة والبارعة والعالية والعالمية المستوى .

وأعود الآن إلى عنوان البحث وأتساءل هل الرواية العربية مابعد الحداثية تصور الحياة العربية تصويرا واقعيا أو هل الرواية العربية مابعد الحداثية تمثل

تمثيلا حقيقيا الحياة العربية المعاصرة؟ وإجابتي على هذا السؤال ربما "لا"، وذلك لأن الاتجاهات مابعد الحداثية في الرواية العربية المعاصرة - على الرغم من هيمنة مصطلح ما بعد الحداثة والاتجاهات المقترنة بها كالبنوية ومابعد البنوية والتفكيكية والنسائية ونحوها على المشهد الثقافي والأدبي والفكري في العصر الحاضر- لاتمثل التيار العام في الرواية العربية المعاصرة، ثمة انبهار شديد باتجاه مابعد الحداثة وماشاكله من المناهج النقدية لدى المثقفين والنقاد العرب منذ بداية الثمانينيات من القرن الماضي، فحاول المهتمون بالعمل النقدي بتعريف هذه المناهج النقدية الغربية فيما بين القراء العرب عن طريق الترجمة كما حاول الكثير من النقاد تطبيق هذه المناهج النقدية على النصوص الأدبية العربية وبدون جدوى في بعض الأحيان. وعلى هذا يرى الناقد المصري الدكتور جمال نجيب التلاوي أستاذ النقد المقارن بجامعة المنيا أنه يوجد في العالم العربي نقاد ولايوجد نقد مما يكشف عن مدى خواء العمل النقدي وتباينه عن واقع الأدب الإبداعي في العالم العربي (٢) وبهذه المناسبة يحلو لي أن أقدم سردا موجزا لتطور اتجاه مابعد الحداثة في العالم العربي ومحاولات النقاد والكتاب العرب في هذا المضمار عن طريق الترجمة من النصوص الغربية والتأليف في هذا المجال .

قام العديد من الكتاب والنقاد منذ السبعينيات من القرن الماضي بترجمة الأعمال النقدية الغربية إلى اللغة العربية ساعين إلى تعريف الاتجاهات النقدية التي باتت تسيطر على شتى ميادين الحياة كالفن والرسم والعمارة والاجتماع والنسائية والأدب والثقافة وغيرها في العالم العربي، ومن بين هذه الكتب المهمة كتاب رولان بارت "الكتابة في درجة الصفر" ترجمها نعيم الحميصي ونشرت من دمشق عام ١٩٧٠م ، وأيضا كتاب رولان بارت " مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص"ترجمه منذر عياشي ونشر من حلب عام ١٩٨٣م ، وكتاب رولان بارت "نقد وحقيقة" من ترجمة منذر عياشي وتقديم عبد الله الغذامي ونشر من حلب عام ١٩٩٤م ، وكتاب رولان بارت "اسطوريات" من ترجمة

قاسم المقداد ونشر عام ١٩٩٦م ، وكتاب ميخائيل باختين " الخطاب الروائي" ترجمه وقدم له محمد برادة، ونشر في عام ١٩٨٧م من القاهرة، وكتاب ميخائيل باختين " الكلمة في الرواية" من ترجمة يوسف حلاق ونشر من دمشق عام ١٩٨٧م ، وكتاب تزفيتان تودوروف " مفهوم الادب" من ترجمة منذر عياشي ونشر عام ١٩٩٠م من جدة، وكتاب آخر لنفس المؤلف بعنوان " المبدأ الحواري: دراسة في فكر ميخائيل باختين" ترجمه فخري صالح ونشر من بغداد عام ١٩٩٢م ، وكتاب " مدخل إلى الأدب العجائبي" لنفس الكاتب وترجمه الصديق بوعلام وراجعه وقدم له محمد برادة ونشر من القاهرة عام ١٩٩٤م ، وكتاب روبرت شولز " البنوية في الأدب" ترجمه حنا عبود ونشر من دمشق عام ١٩٨٤م ، وكتاب " السيمياء والتأويل" لنفس الكاتب ترجمه سعيد الغانمي ونشر من بيروت عام ١٩٩٤م ، وكتاب كلود ليفي شتروس وفلاديمير بروب "مساجلة بصدد علم تشكل الحكاية" من ترجمة وتقديم محمد معتصم ، ونشر من بيروت عام ١٩٨٨، وكتاب روبرت هولب : "نظرية التلقي" ، من ترجمة عز الدين إسماعيل ومن منشورات النادي الثقافي الأدبي بجدة عام ١٩٩٤م ، وكتاب"نظرية الأجناس الأدبية لعدة مؤلفين من ترجمة عبد العزيز شبيل ومن منشورات النادي الثقافي الأدبي بجدة عام ١٩٩٤م ، وكتاب أبو أحمد حامد : "الخطاب والقارئ : نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة" ونشر من الرياض عام ١٩٩٤م ، وكتاب "القصة الرواية المؤلف: دراسات في نظرية الأنواع الأدبية لعدة مؤلفين وترجمه وقدم له خيري دومة ونشر من القاهرة عام ١٩٩٧م ، وكتاب دليلة مرسلي ورفيقاتها "مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص" ونشر من بيروت عام ١٩٨٥م ، وكتاب "في أصول الخطاب النقدي الجديد" لعدة مؤلفين من ترجمة أحمد المديني، ومن منشورات دار الشؤون الثقافية ببغداد عام ١٩٨٧م ، وكتاب بيتر مونز "حين ينكسر الغصن الذهبي: بنيوية أم طبولوجيا" ترجمه صبار سعدون السعدون ونشر من بغداد

عام ١٩٨٧م ، وكتاب ب. برونل وزملاؤه " النقد الأدبي" من ترجمة هدى وصفي، ونشر من القاهرة عام ١٩٩٩م ، وكتاب حسن عبد الكريم " المنهج الموضوعي: نظرية وتطبيق" نشر من بيروت عام ١٩٩٠م ، وكتاب وليام راي "المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التكفيكية" ترجمه يوئيل يوسف عزيز ونشر من بغداد عام ١٩٨٧، وكتاب كريستوفر نورس "التفكيكية: "النظرية والتطبيق" من ترجمة رعد عبد الجليل جواد ونشر من اللاذقية في عام ١٩٩٢م ، وكتاب إديث كروزويل " عصر البنيوية" من ترجمة جابر عصفور ونشر من الكويت عام ١٩٩٢م ، وكتاب " النقد الأدبي في القرن العشرين" لـــ جان ايف تاديه ، ترجمه قاسم مقداد ونشر من دمشق عام ١٩٩٣م ، وكتاب جان ستروك "البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا" نشر من الكويت عام ١٩٩٦م ، وكتاب " مدخل إلى مناهج النقد الأدبي لعدة مؤلفين من ترجمة رضوان ظاظا المنشور من الكويت عام ١٩٩٧م ، وكتاب إيريش أورباخ "محاكاة : الواقع كما يتصوره أدب الغرب" من ترجمة محمد جديد والأب روفائيل خوري ونشر من دمشق عام ١٩٩٨م ، وكتاب " طرائق تحليل النص الأدبي " لعدة مؤلفين وترجمة عدة مترجمين ، ونشر من الرباط عام ١٩٩٢م ، وكتاب امبرتو ايكو "القارئ في الحكاية : التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية" من ترجمة انطوان أبو زيد ونشر من بيروت عام ١٩٩٦م ، وكتاب جينيت جيرار ، بعنوان : "خطاب الحكاية : بحث في المنهج" ترجمه محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي ونشر من القاهرة عام ١٩٩٧م ، وإلى غيرها من الكتب الكثير ة التي تعالج هذه الاتجاهات النقدية الحديثة السائدة في العالم الغربي. هذه الكتب وغيرها قد مهدت الطريق لذيوع وانتشار الاتجاهات الأدبية والنقدية مابعد الحداثية في صفوف الكتاب والنقاد في العالم العربي إلى أن صار الانتماء لها نوعا من الموضة ولو كان ذلك مفضيا إلى الاستغلاق والالتباس والقصور عن التأويل الصحيح للنصوص الأدبية .

الرواية العربية معبرة عن الواقع العربي المعاش :

في الحين الذي يحاول العديد من الكتاب العرب كتابة روايات مستفيدين من هذه الاتجاهات النقدية، لا تظهر كتاباتهم ذلك الالتصاق العميق بالواقع الاجتماعي والسياسي والفكري مثلما نجده في أعمال عبد الحليم جودة السحار وعلي أحمد باكثير و يوسف السباعي و نجيب محفوظ وجمال الغيطاني وصنع الله إبراهيم وحليم بركات وحنا مينا وحنان الشيخ وغسان كنفاني وعبد الرحمان منيف والطيب صالح، وإبراهيم الكوني وإبراهيم الفقيه والطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة وآخرون الذين وظفوا الرواية لتصوير الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والفكري ونقده والكشف عن كثير من جوانب الحياة العربية والإنسانية المعاصرة باستخدام آليات وتقنيات القص الناضجة والمختلفة بدرجات متفاوته ولكن جميعها ينصب في مجرى واحد وهو التعبير عن قضايا المجتمع العربي والإنسان العربي في خضم التحول الهائل الذي يحدث في المجتمع تحت وطأة المتغيرات الدولية والوطنية وما يجربه من ألوان من التجارب الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها مما يجعل أعمالهم عكسا حقيقيا للواقع العربي المعاش. لن يمكن في حدود هذا البحث الوجيز الإحاطة بجميع ما أنتج في هذا الصنف نظرا لكثرة التأليف الروائي وكثرة الروائيين في الأقطار العربية، ومن ثم اكتفي بالإشارة إلى أهم الروائيين وأعمالهم التي قامت بتصوير المجتمع العربي تصويرا واقعيا على الترتيب الجغرافي، فآخذ بلدا بلدا واناقش في كل منها الاتجاهات الروائية البارزة وكيف صور الروائيون المجتمع في بلدهم. المهم أن نلاحظ أن محور هذا البحث هو كون الرواية عكسا حقيقيا للحياة العربية المعاصرة .

مـصـــر :

بظهور نجيب محفوظ على المشهد الروائي في مطلع الأربعينيات من القرن العشرين بدأت الرواية العربية تسير في الاتجاه الصحيح لترسخ مكانتها على

المستويين العربي والعالمي، وقد سبق أن أرسى دعائمها الروائيون من أمثال محمد حسين هيكل وطاهر لاشين وتوفيق الحكيم وطه حسين وعبد القادر المازني ومحمود تيمور بأعمال روائية متميزة قامت بتصوير قضايا المجتمع المصري تصويراً واقعياً وإبراز الهوية المصرية ، ولما اتجه نجيب محفوظ إلى الواقعية الاجتماعية من خلال روايات خان الخليلي ، والقاهرة الجديدة ، وبداية ونهاية وزقاق المدق والثلاثية بين القصرين وقصر الشوق والسكرية التي مثلت المرحلة الثانية من مشواره الإبداعي في الرواية استطاع نجيب محفوظ أن يجعل من فن الرواية ديواناً للمجتمع المصري ، صور من خلاله الطبقة المتوسطة من المجتمع المصري تصويرا أمينا ودقيقا بدقة وتركيز إميلي زولا وشارلز ديكيتر ودوستوفيسكي (٣) ، لنأخذ مثلا روايته زقاق المدق التي تعد بحق رواية بارعة جدا لما حوته الرواية من تصوير دقيق وبارع لحي المدق ولشخصياته المتباينة كأنها صورة منمنمة للمجتمع المصري كله ، أولنأخذ أشهر رواياته الثلاثية التي حولها إلى مدونة دقيقة للمجتمع المصري وما يعايشه من القضايا وما يمر به من تحول اجتماعي وسياسي وثقافي عبر تصويره لأسرة مصرية في حي بين القصرين في أجيالها الثلاثة منذ عام ١٩١٧م حتى عام ١٩٤٤م ، من خلال تصويره لمئات من المواقف الإنسانية والمتغايرة والإحاطة الواسعة بمشكلات المجتمع وتعبيره عن التحول البطيئ الذي يطرأ على المجتمع وتصويره لوضع المرأة المصرية المتغير وتعبيره عن أزمة الشباب المثقف ونقده على الوضع السياسي القائم وغير ذلك من القضايا الجوهرية التي عالجها في الرواية ببراعة الفنان المتمكن من آليات وآدوات فنه وقدرته على إحالة المواضيع المحلية إلى عالمية، استطاع نجيب محفوظ بذلك أن يصير مؤرخا أمينا لمجتمعه وعصره ، ثم بفعل المؤثرات الكثيرة جعل محفوظ من روايته أداة للتعبير عن أزمة الإنسان العربي الفكرية و انهيار القيم الخلقية في المجتمع بفعل غياب الحرية الفردية والذي مثل المرحلة الثالثة وهي المرحلة الفلسفية والرمزية ، وفيها جاء التركيز الأكبر على

معالجة القضايا الفكرية والفلسفية للإنسان المعاصر ، وكان ذلك أيضا شديد الالتصاق بالواقع المصري والعربي المعاصر وظهر ذلك من خلال روايات أولاد حارتنا و ثرثرة فوق النيل و اللص و الكلاب و الطريق و السمان و الخريف والشحاذ وميرامار والكرنك وغيرها من الرزايات البارعة .

كان محفوظ بصفته أديبا ملتزما شديد النقد على النظام السياسي القائم وقتئذ تحت قيادة الرئيس جمال عبد الناصر الذي تحول النظام الحكومي في عصره أشبه بنظام بوليسي ديكتاتوري فقام بقمع الحرية السياسية ومنع تعددية الأحزاب السياسية والقضاء على حرية التعبير عن الرأي والتنكيل بالمثقفين وعامة الناس وانتشر الفساد في المجتمع مما خيب آماله وآمال المثقفين من ثورة عام ١٩٥٢م ، وقد قام الكاتب بالتعبير عن ذلك من خلال أعماله وقد انصب النقد صريحاً في رواية ثرثرة فوق النيل التي تصور إحباط المثقفين العرب من الوضع القائم، وعبر عنها بالرموز في رواياته من المرحلة الرمزية والفلسفية، وإذا اراد الإنسان أن يطلع على جوانب مختلفة للمجتمع المصري فعليه أن يراجع أعمال نجيب محفوظ التي سوف يجد فيها ضالته .

يجب الانتباه إلى الحقيقة أيضا أن نجيب محفوظ من الأدباء الذين ينتجون أدبا في ضوء المقاييس الأدبية الغربية البحتة فلايرون غضاضة في تصوير الجنس المكشوف أحيانا بحجة أن تصوير الواقع يقتضي تصوير الجنس أيضا وهذه رؤية لايتفق معها الكثير من النقاد والأدباء الذين يؤمنون بضرورة الالتزام بالقيم الأخلاقية في الأدب ، هذا إلى جانب هيمنة النـــزعة العلمانية والاشتراكية على أدبه مما أضفى على أدبه طابعاً غربياً يبعده من الالتزام بالمبادئ الإسلامية في أدبه ، وقد تجلى ذلك بوضوح في روايته المثيرة للجدل "أولاد حارتنا" .

برز في مصر جيل من الكتاب كان معاصراً لنجيب محفوظ وكان بعض منهم مبدعين موهوبين صوروا من خلال أعمالهم الطبقات المختلفة من المجتمع المصري ، ومن هولاء عبد الرحمان الشرقاوي (١٩٢٠-١٩٨٧م) الذي قدم في

إحدى روايته الشهيرة "الأرض" الفلاحين المصريين صورة جد واقعية ، وعبر فيها عن المشكلات الحقيقية والهموم التي يعاني منها الفلاحون المصريون وقد تبنى فيها المنهج الماركسي إذ صور الفلاحين والطبقة البورجوازية الحاكمة مقسمين إلى معسكرين متضادين متصارعين على غرار المبدأ الماركسي ، ويمضي الشرقاوي في التعبير عن قضايا وهموم الفلاحين في روايته التالية "الفلاح" ، وأما في روايته "الشوارع الخلفية" فإنه يصور فيها كفاح عام ١٩٣٥م التي شاركت فيها الطوائف المختلفة في القاهرة والمدن الأخرى وانتهى بإعادة دستور ١٩٢٣م وتأليف الجبهة الوطنية والحكومة الإصلاحية، ومنهم أيضا علي أحمد باكثير صاحب المسرحيات الكثيرة الذي ألف أيضا عددا من الروايات من أهمها "الثائر الأحمر" (١٩٤٩م) التي يحاول فيها أن يبرز اشتراكية الإسلام التي يرى باكثير أنها أنجح وأفضل وأكثر ملائمة للمجتمعات العربية من الشيوعية التي كانت قد برزت على الساحة في مصر بشكل قوي في الأربعينات من القرن الماضي ، ومنهم عادل كامل صاحب رواية "ملك من شعاع" (١٩٤١م) و "مليم أكبر" (١٩٤٤م) والأخيرة تصور الظلم الذي تتعرض له الطبقات الكادحة على يد الرأسماليين والإقطاعيين ، ومنهم إحسان عبد القدوس (١٩١٩-١٩٩٠م) الذي صور في عدد من رواياته وضع المرأة المصرية المتغير وسعيها للحصول على حريتها ، ومنهم يوسف إدريس صاحب عدد من روايات بارعة "قصة حب" (١٩٥٦م) و "العيب" و "الحرام" (١٩٥٩م) ، والأخيرة تصور مأساة التراحيلة وهم أشد الفلاحين فقرا ومدى تعرضهم للظلم الاجتماعي ، ومنهم فتحي غانم صاحب روايات كثيرة أهمها "الجبل" (١٩٥٨م) ، و "الرجل الذي فقد ظله" (١٩٦١م) وتعد الأخيرة أبرع وأجمل رواياته التي تركز على تصوير خبايا وأسرار وأخلاقيات عالم الصحافة تصويرا واقعياً ودقيقاً ، ومنهم ثروت أباظة الذي استخدم الرمز استخداما ناضجا لتصوير القهر السياسي في الستينات بجرأة بالغة ، وسعد مكاوي

ولطيفة الزيات اللذان كشفت أعمالهما عن جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية والسياسة المصرية المعاصرة .

برز في مصر عدد كبير من الروائيين عرفوا بجيل الستينيات ومن أبرزهم "إبراهيم أصلان ، وإبراهيم عبد المجيد الربيعي وأحمد الشيخ واقبال بركة وحسن محسب وخيري شلبي ورضوى عاشور وسليمان فياض وزينب العسال وسلوى بكر وشريف حتاتة وصبري موسى وعبد الفتاح رزق وعبده جبير وفتحى سلامة ومجيد طوبيا ومحمد البساطي ومحمد أبوالمعطي أبو النجا ومحمد جبريل ومحمد جلال ومحمد المخزنجي ومحمد المنسي قنديل ومحمد يوسف القعيد و محمود عوض عبد العال و محمود شريف و نهاد شريف ونوال السعداوي ويحي الطاهر عبد الله وغيرهم .

ولا يمكن في هذه العجالة مناقشة أعمال جميع هولاء، فأكتفي بالإشارة إلى أهم الاتجاهات التي تمثلها أعمالهم، ولقد خلص النقاد بعد تتبع أعمالهم إلى أن أعمال هؤلآء من حيث المجموع تمثل اتجاهين بارزين وهما :

١. اتجاه يسيطر عليه نقد الواقع المعاصر ، أو الشديد المعاصرة سياسيا وبوجه خاص ما يتعلق بألوان القهر والقمع وفساد السلطة وتغلب عليه محولات التجريب في الشكل ويلحق به أعمال تهتم أيضا بالجانب السياسي ونقد السلطة ولكن التركيز فيها منصب على أبعاد إنسانية تتوارى خلفها الأوضاع السياسية (٤) .
٢. اتجاه يخلو تماما من نقد السلطة، ويختفي فيه البعد السياسي تحت أجواء إنسانية وتحولات اجتماعية (٥) .

وتمثل روايات"تلك الرائحة" (١٩٦٨م) و "نجمة أغسطس" (١٩٧٤م) و "اللجنة" (١٩٨١م) لصنع الله إبراهيم، و "الزيني بركات" (١٩٧٤م) لجمال الغيطاني و "زهر الليمون" (١٩٨٧م) لعلاء الديب الاتجاه الأول الذي يكاد يكون الاتجاه المسيطر على الساحة الروائية في فترة السبعينيات والثمانينيات من

القرن الماضي، ففي "تلك الرائحة" يقدم الكاتب صورة حزينة لشاب مثقف محطم نفسيا إثر خروجه من السجن، و في "نجمة أغسطس" يستمر هذا النقد السياسي ، وأما رواية "اللجنة" التي تعد أقوى وأبرع الروايات العربية في النقد السياسي فيقدم الكاتب فيه نقدا شديدا ولاذعا للوضع السياسي والاجتماعي القائم في مصر وفي المجتمعات العربية و "يكشف سلوك السلطة الديكتاتورية البوليسية بها" (٦) ، وأما الغيطاني فإنه في روايته المتميزة "الزيني بركات" يستلهم التراث العربي في نقده للواقع السياسي المعاصر من خلال تقديمه لشخصية الزيني بركات في العصر المملوكي وربطه لوقائع ذلك العصر بأحداث مصر في الستينيات حيث يوجد تشابه قوي في الأوضاع السياسية التي تميزت بالتنكيل بالمثقفين والقهر والكبت ضد المواطنين ، وبذلك أضاف الغيطاني إلى الرواية العربية شكلاً أصيلاً وجديداً مستمداً من التراث العربي .

وأما فيما يتعلق بالاتجاه الثاني في الروايات المصرية فتمثلها روايات كثيرة أبرزها "أيام الإنسان السبعة" (١٩٦٩م) لعبد الحكيم قاسم التي تصور العادات والتقاليد والأوضاع الاجتماعية التي أوشكت على الانقراض في المجتمع المصري، ورواية "خالتي صفية والدير" (١٩٩١م) لبهاء طاهر التي تركز على فتنة الطائفية وتلاشي الانسجام الطائفي فيما بين المسيحيين والمسلمين الذي تميز به المجتمع المصري والحلول محله الحقد والكراهية .

{يتبع}

(١) الدكتور طه وادي – دراسات في نقد الرواية : ص/٣ .

(٢) حوار مع الدكتور جمال نجيب التلاوي – الشبكة العنكبوتية http://www.diwanalarab.com/spip.php?article12804

(٣) M.M.Badawi: A Short history of Modern Arabic Literature, p.137.

(٤-٥) د.حمدي السكوت – الرواية العربية ببلوجرافيا ومدخل نقدي ، الجزء الأول : ص/٨٩ .

(٦) المصدر السابق : ص/٩٥ .

الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي

وتفسيره (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)

بقلم : الدكتور عرفات ظفر
قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة لكنار- الهند

الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٦-١٩٦٠م) من أبرز الشخصيات الإسلامية بتركيا في النصف الأول من القرن العشرين ، إنه ولد في قرية (نُورس) إحدى قرى قضاء (خيزان) التابعة لولاية بتليس شرقي الأناضول في تركيا ، وباسم هذه القرية وضع نسبته (النورسي) إنه انتقل بين القرى والمدن وبين الأساتذة والمدارس وتلقى العلوم العربية والإسلامية باهتمام كبير ، وأثناء ذلك تبحر في علم الكلام والمنطق ، وكتب التفسير وعلوم الحديث والفقه والنحو والبلاغة ، وكان معروفاً بسرعة استيعابه للعلوم ، حتى إنه حفظ ما يقرب من تسعين كتاباً من أمهات الكتب وحفظ كتاب (جمع الجوامع) في أصول الفقه لابن السبكي في أسبوع واحد ، كما حفظ (القاموس المحيط) للفيروزآبادي إلى باب السين ، وبسبب حدة ذكائه وقوة حافظته وعلمه الغزير واطلاعه الواسع سُمّي (بديع الزمان) كنوع من الاعتراف من قبل أساتذته وأهل العلم ، وهكذا انتهت المرحلة الأولى لتعليمه وهي مرحلة التعليم الديني ، وبعد ذلك درّس هنا وهناك في المدارس والجوامع ثم انصرف إلى تعلم العلوم الحديثة ، ومن هنا تبدأ المرحلة الثانية لتعليمه .

وفي عام ١٨٩٤م ذهب الأستاذ سعيد النورسي إلى مدينة (وان) وانكبّ فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك ، والكيمياء ، والفيزياء ، والجيولوجيا ، والفلسفة والتاريخ ، وسبر أغوار هذه العلوم بنفسه دون معونة أحد ودون اللجوء إلى مدرس يدرسه إيّاها ، حتى تعمق فيها وبلغ إلى درجة

التأليف في بعضها ، وهكذا جمع بين القديم والحديث جمعاً متناسقاً وأصبح مجمع البحرين ، وذاعت شهرته إلى أقاصي البلاد وأدانيها ، وكان العلماء والأساتذة يسألونه ويمتحنونه في كل مكان يذهب إليه ، فكان يجيبهم في كل فن بمقدرة عجيبة وغزارة نادرة ، فاعترف له الجميع بالإمامة ، وبأنهم لم يشاهدوا مثله في علمه وفضله ، حتى عبّر البعض عن إعجابه الشديد بعد أن اختبره اختباراً دقيقاً وقال : "إن علمه ليس كسبياً وإنما هو هبة إلهيّة وعلم لدنّي" (١).

ولشخصية الأستاذ سعيد النورسي جوانب عديدة ، إنه سعى سعياً مشكوراً وبذل جهوداً طيبةً في مجالات العلم والفكر والدين والثقافة ، - وعلى صعيد آخر جاهد جهاداً كبيراً وقاتل – هو وجماعته قتالاً شديداً في ساحة القتال ضد الجيش الروسي ، كما أنه انتقد الاستبداد ونظام الحكم في بلاده فتعرض للسجن والنفي والإيذاء ، وهكذا قضى سنين من عمره أسيراً ومنفياً وسجيناً في سجون مختلفة وأماكن غريبة .

وفي تلك الفترة من الزمن نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني (وليم غلادستون) قد صرّح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلاً : "ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم ، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به" زلزل هذا الخبر كيان الأستاذ النورسي وأقضّ مضجعه وثارت ثائرته وأعلن لمن حوله قائلاً : "لأبرهننّ للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها" (٢) .

وكان هذا النبأ نقطة تحول في حياة الشيخ النورسي ، ومنذ ذلك الحين

(١) جوانب من حياة بديع الزمان : ص/٢ ، مقال متوفر على الإنترنت www.nursistudies.com

(٢) سيرة ذاتية مختصرة لبديع الزمان سعيد النورسي ، ترجمة وإعداد : إحسان قاسم الصالحي : ص/٢٠-٢١ .

جعل خدمة القرآن الكريم هدفاً لعلمه وغاية لحياته ، وقرّر أنه أن يستخدم جميع العلوم القديمة والحديثة التي حصل عليها منذ الطفولة حتى الآن لإدراك معاني القرآن الكريم السامية ، وإثبات حقائقه الغراء ، ولتحقيق هذا الهدف شدّ الرحال إلى استنبول عام ١٩٠٧م وقدم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني وخلفه محمد رشاد لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول بتركيا على غرار جامعة الأزهر بمصر وأطلق عليها اسم : (مدرسة الزهراء) التي تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية وفق مقولته المشهورة : "ضياء القلب هو العلوم الدينية ، ونور العقل هو العلوم الكونية الحديثة وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة ، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا والتعصب الذميم في ذلك .

ولكن ظروف الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) والانقلاب العسكري على الدولة العثمانية حالت دون إنجاز هذا المشروع ، وبالرغم من هذه العوائق والعقبات واصل جهاده لإعلاء كلمة الله ، وتوضيح عقيدة الإسلام ، وبيان أحكامه وعللها ودحض الأفكار المنحرفة والفلسفات الجديدة لإنقاذ المسلمين عامة ومسلمي بلاده خاصة من الغزو الفكري المادي الذي قد تعرضوا له ، وقام بتربية الطلاب على منهجه الخاص لكي يقدروا على مواجهة الصراع الفكري والحضاري ومقاومته الذي كان يتسلل رويداً رويداً إلى المجتمع الإسلامي في معظم البلدان الإسلامية .

ومن المعلوم أن الشيخ سعيد النورسي كان يجيد كمّاً واسعاً من العلوم الحديثة إلى جانب تبحره في العلوم العربية والإسلامية ، فبفضل هذا المحصول العلمي الكبير الذي اكتسبه منذ طفولته حتى ذلك الحين تمكن من تأليف الكتب والرسائل في شتّى العلوم والمعارف باللغتين العربية والتركية التي اشتهرت فيما بعد باسم : (رسائل النور) ومن كتبه العربية (المثنوي العربي النوري) وتفسيره القيم (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) ، ويجدر بالذكر

أن تفسيره (إشارات الإعجاز) تفسير غير مكتمل ويشتمل على تفسير البسملة وسورة الفاتحة وثلاث وثلاثين آية من أوائل سورة البقرة ، كما أنه لم يكتب أية مقدمة مستفيضة لهذا التفسير حيث يوضح أصول تفسيره وخصائص تفسيره ، ولعل السبب في هذا أنه ألف هذا التفسير في خضم المعارك ، سيأتي تفصيله فيما بعد ، وهذا التفسير – كما يترشح من اسمه – يشير إلى إعجاز القرآن و وجوهه بغاية الإيجاز والاختصار .

وفي البداية كان الشيخ النورسي يود أن يؤلف هذا التفسير هيئة عالية من العلماء والمتخصصين الحائزين على اعتماد الجمهور وثقتهم ، كما هو يقول :

"لما كان القرآن جامعاً لأشتات العلوم وخطبة لعامة الطبقات في كل الأعصار ، لا يتحصل له تفسير لائق من فهم الفرد الذي قلما يخلص من التعصب لمسلكه ومشربه ... كذلك لابد لكشف معاني القرآن وجمع المحاسن المتفرقة في التفاسير وتثبيت حقائقه ... من انتهاض هيئة عالية من العلماء المتخصصين المختلفين في وجوه الاختصاص ، ولهم مع دقة نظر سعة فكر لتفسيره" (٣) .

ولكن لم يتم تشكيل هذه الهيئة العالية من العلماء المتميزين والإخصائيين البارزين في مختلف العلوم والمعارف ، وبعد انتظار طويل أنه بدأ العمل وحيداً في هذا المجال ، وفي هذه الأثناء اندلعت الحرب العالمية الأولى ، فكان الشيخ النورسي يجاهد في ساحة القتال ويفسر القرآن في ساعات الفراغ ، كما يقول نفسه في هذا الشأن :

"ثم إني بينما كنت منتظراً ومتوجهاً لهذا المقصد بتظاهر هيئة كذلك

(٣) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز – للشيخ بديع الزمان سعيد النورسي ، تحقيق إحسان قاسم الصالحي : ص/٧ .

– وقد كان هذا غاية خيالي من زمان مديد – إذ سنح لقلبي من قبيل الحس قبل الوقوع تقرب زلزلة عظيمة (يعني الحرب العالمية الأولى)فشرعت – مع عجزي وقصوري والإغلاق في كلامي – في تقييد ما سنح لي من إشارات إعجاز القرآن في نظمه وبيان بعض حقائقه ، ولم يتيسر لي مراجعة التفاسير ، فإن وافقها فبها ونعمت وإلا فالعهدة عليّ ... فوقعت هذه الطامة الكبرة ... ففي أثناء أداء فريضة الجهاد كلما انتهزت فرصة في خط الحرب قيدت ما لاح لي في الأودية والجبال بعبارات مختلفة باختلاف الحالات ... فأعرضها لأنظار أهل الكمال ، لا لأنه تفسير للتنزيل بل ليصير – لو ظفر بالقبول – نوع مأخذ لبعض وجوه التفسير" (٤) .

ومن أبرز ميزات هذا التفسير أن الشيخ النورسي قد التزم فيه ببيان النظم بين الآيات المختلفة ويرى أن النظم القرآني هو الوجه الأول والأظهر من وجوه إعجار القرآن الكريم ، ولإظهاره وبيانه ألف هذا التفسير القيم ، ولابد من الإشارة هنا إلى أن الشيخ النورسي لم يؤلف كتاباً مستقلاً لبيان آرائه في نظم القرآن و توضيح أفكاره حول إعجاز القرآن ، كما ألف العلماء المتقدمون ، ومن المتأخرين المفسر الهندي الجليل عبد الحميد الفراهي .

أما نظرية النظم فلم تكن نظرية جديدة ، بل تناولها العلماء في تفاسيرهم تناولاً جيداً وتحدثوا عنها في مؤلفاتهم بإسهاب ، فقد أخذ الشيخ النورسي هذه النظرية من العلامة عبد القاهر الجرجاني وتأثر به تأثراً بالغاً وأعجب بنظريته في نظم القرآن إعجاباً كثيراً ، ولكنه لما ألقى النظر في تفاسير المتقدمين وجد أن هؤلآء العلماء لم ينجحوا في تطبيق هذه النظرية عند التفسير ، كما يقول الدكتور محسن عبد الحميد في مقدمته لإشارات الإعجاز :

"وكأني بالأستاذ النورسي درس نظرية النظم هذه دراسة متقنة ، ثم ظهر

(٤) المصدر السابق : ص/٨ .

له أن المفسرين الذين سبقوه كالزمخشري والرازي وأبي السعود لم يحاولوا تطبيقها من حيث هي منظومة متكاملة تشمل ترتيب السور والآيات والألفاظ سورة بعد سورة وآية بعد آية ولفظاً بعد لفظ ، بتفاصيلها الكاملة فأراد أن يقتدي بهؤلآء المفسرين العظام فيؤلف تفسيراً يطبق فيه نظرية النظم تطبيقاً تفصيلياً شاملاً من حيث المباني والمعاني ، ومن حيث المعارف اللغوية والعقلية والذوقية ، الكلية منها والجزئية ، والتي اعتمد عليها في الكشف عن تفاصيل المنظومة القرآنية التي بها يظهر الإعجاز ، وتتكشف دقائق خصائص الأسلوب القرآني التي خالفت خصائص التعبير العربي البليغ قبله والتي حيّرت البلغاء وأخرست الفصحاء ليحق عليهم التحدي المعجز إلى يوم القيامة" (٥) .

فقد أخذت مسألة النظم من الشيخ النورسي كل مأخذ ، فذهب يعمق الحديث فيه لأنه يرى أن إعجاز القرآن الكريم مكنون في بلاغته وموجود في حسن نظمه ، وقد صرح مراراً وتكراراً في كتاباته بأن النظم هو أساس الإعجاز ، كما أشار في ثنايا هذا التفسير أيضاً إلى هذا الوجه البارز من وجوه الإعجاز أكثر من مرة ، فهو يقول : "إن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن ، لأن الإعجاز يتجلّى من نظمه ، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم" (٦) .

وقوله في مكان آخر : "اعلم أن أساس إعجاز القرآن الكريم في بلاغة نظمه" (٧) ، ويشير إلى نفس الشئ بهذه الكلمات : "وأدق وجوه إعجاز القرآن الكريم ما في بلاغة نظمه" (٨) .

وأما منهجه في تفسير القرآن وبيان نظمه فهو يبدأ بمقدمة يجعلها مدخلاً لتفسير الآية أو الآيات وقد يتركها أحياناً ، ثم يبين بعد التفسير نظم الآية مع ما قبلها وما بعدها ، ثم نظم الجمل في الآية ، ثم نظم الكلمات والحروف في الجملة.

(٥) المصدر السابق : ص/٢ . (٦) نفس المصدر : ص/٢٩ .

(٧) أيضاً : ص/١٤١ . (٨) أيضاً : ص/٢٢٦ .

كان الشيخ النورسي يودّ أن يكون هذا الجزء من التفسير وقفاً على توضيح الإعجاز النظمي من وجوه إعجاز القرآن وأن تكون الأجزاء الأخرى منه وفقاً على بيان سائر أوجه الإعجاز ، ولكن من المؤسف جداً أنه وقف عند هذا المحلد من التفسير ودفعته ظروف عصره ومصره إلى مواجهة التحديات العصرية والقضايا المعاصرة ومقاومة الحضارة الغربية المادية ، لأن ما أثاره الأعداء في ذلك الزمن لم يكن متصلاً بالطعن في بلاغة القرآن أو مناقشة ما يتعلق بإعجازه أو بتناسب سوره وآيه وكلماته ، وإنما كان يركز على شن هجوم شامل على أصول الإيمان وحكمة التشريعات ومحاولة تفكيك النظام الأخلاقي الذي جاء به القرآن الكريم (٩) .

لا شك في أن الشيخ سعيد النورسي قد أوضح من خلال هذا الجزء منهجه في التفسير وأثبت إعجاز القرآن من ناحية النظم بين الآيات الكريمة ، ولو أكمل الشيخ هذا العمل حسب خطته لكان تفسيراً بديعاً جامعاً للقرآن المعجز البيان .

وأما أسلوب الشيخ النورسي في هذا التفسير فهو يتسم بالإعجاز والاختصار ، كما يتضح من اسمه أيضاً ، ولها أسباب عديدة ، فقد اقتضت ظروف الحرب الشاقة وما يواكبها من حرمان أن يكتب هذا التفسير في غاية الإيجاز والاختصار ، كما أن ذلك الزمان لم يكن يسمح بالإيضاح ، نظراً إلى أن سعيد القديم (أي سعيد قبل الحرب العالمية الأولى) كان يعبّر بعبارات موجزة وقصيرة عن مرامه ، وفضلاً عن ذلك كان الشيخ النورسي يضع درجة أفهام طلبته الأذكياء جداً موضع الاعتبار ، ولم يكن يفكر في فهم الآخرين ، وكذلك إذ أنه كان يبين في تفسيره هذا أدق وأرفع ما في نظم القرآن من الإيجاز المعجز ، جاءت العبارات قصيرة ورفيعة (١٠) .

(٩) المصدر السابق ، مقدمة الدكتور محسن عبد الحميد (أستاذ التفسير والفكر الإسلامي – جامعة بغداد) : ص/٣ .

(١٠) المصدر السابق ، مقدمة الترجمة التركية : ص/٦ .

ومن الملاحظ هنا أن الشيخ النورسي قبل الشروع في التفسير قدّم تعريفاً بليغاً موجزاً مؤثراً للقرآن الكريم بعنوان : (لمعة من تعريف القرآن) ومن خلالها أوضح مكانة هذه الرسالة الإلهية وماهيتها وغايتها لا للمسلمين فقط بل للإنسانية جمعاء .

وفيما يلي نقدم أمثلة من تفسيره حيث يوضح النظم بين الآيات والكلمات القرآنية المختلفة ، ولهذا الغرض خصصت سورة الفاتحة من تفسيره للدراسة ، فيقول : إن النظم في البسملة : (بسم الله الرحمن الرحيم) قد استوعب أعلى مراتب البلاغة المعجزة ، وذلك من خلال النظم البديع ، فإنه يبين النظم بين الكلمات المختلفة في البسملة قائلاً :

"لمّا أُنزل (بسْمِ الله) لتعليم العباد كان (قُل) مقدراً فيه ، و هو الأم في تقدير الأقوال القرآنية ، فعلى هذا يكون في (قُل) إشارة إلى الرسالة ، وفي (بسْم الله) رمز إلى الألوهية ، و في تقديم الباء تلويح إلى التوحيد ، وفي (الرَّحْمَن) تلميح إلى نظام العدالة والإحسان ، وفي (الرَّحِيْم) إيماء إلى الحشر" (١١) .

ثم يوضح النظم بين (الله) و (الرَّحْمَن الرَّحِيْم) قائلاً : إن الله لفظة الجلال جامعة لجميع الصفات الكمالية ، فهذا يستدعي اتصافه تعالى بالجلال والجمال ، فإنهما أصلان تَسَلْسل منهما فروع كالأمر والنهي والثواب والعذاب والترغيب والترهيب ... وإذا كان لفظ الجلال يتجلى منه الجلال فالرحمن الرحيم يتراءى منهما الجمال ، فذكرهما استكمال للفضل الإلهي (١٢) .

ثم يلتفت الشيخ النورسي إلى تفسير سورة الفاتحة ، ويقول في هذا السياق : "وكذلك في (الحَمْدُ لله) إشارة إلى الألوهية ، وفي لام الاختصاص

(١١) المصدر السابق : ص/٩ .

(١٢) المصدر السابق : ص/١٠ .

رمز إلى التوحيد ، وفي (رَبِّ العَالَمِيْن) إيماء إلى العدالة والنبوة أيضا ، لأن بالرسل تربية نوع البشر ، وفي (مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْن) تصريحاً بالحشر (١٣) .

ثم يوضح النظم في (الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم) ، ويقول : "إنهما إشارتان إلى أساسي التربية ، إذ (الرَّحْمَن) لكونه بمعنى الرزاق يلائم جلب المنافع ، و (الرَّحِيْم) لكونه بمعنى الغفار يناسب دفع المضار ،وهما الأساسان للتربية (١٤).

ثم يبين نظم (مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْن) مع الآية السابقة أي (الرَّحْمَن الرَّحِيْم) قائلاً : إنه كالنتيجة لسابقه ، إذ الرحمة من أدلة القيامة والسعادة الأبدية ، لأن الرحمة إنما تكون رحمة والنعمة نعمة إذا جاءت القيامة وحصلت السعادة الأبدية (١٥) .

وعلى هذا النحو فإنه يبرز وجه النظم في الآية : (إيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إيَّاكَ نَسْتَعِيْن) ، ويقول : اعلم أن نظم (نستعين) مع (نعبد) كنظم الأجرة مع الخدمة ، لأن العبادة حق الله على العبد والإعانة إحسانه تعالى لعبده ، وفي حصر (إيّاك) إشارة إلى أن بهذه النسبة الشريفة التي هي العبادة والخدمة له تعالى يترفع العبد عن التذلل للأسباب والوسائط ، بل تصير الوسائط خادمة له وهو لا يعرف إلا واحداً ... ومن لم يكن خادماً له تعالى بحق يصير خادماً للأسباب ومتذللاً للوسائط (١٦) .

فعلى هذا المنوال إنه يفسّر ويوضح النظم بين الآيات تارة وبين الجمل والكلمات تارة أخرى ، فالآن اكتفى بهذا القدر من الأمثلة ، وبها يتضح أمامنا منهج تفسيره وطريقة تطبيقه النظم في الآيات القرآنية ، فلا شك في أن تفسيره (إشارات الإعجاز) تفسير قيم في إثبات وجه النظم من الإعجاز ومملوء بالأسرار واللطائف والحكم القرآنية ، وفي هذا التفسير إنه قد يذكر الأبيات

(١٣) نفس المصدر : ص/٩ .

(١٤) أيضاً : ص/١٢ .

(١٥) أيضاً : ص/١٢ .

(١٦) أيضاً : ص/١٣ .

العربية للاستدلال على الكلمات والمفاهيم ويأتي بالأحاديث النبوية لشرح المعاني والأحكام ، ويجري فيه على منهج تفسير القرآن بالقرآن أيضاً .

والجدير بالذكر في نهاية المطاف أن الشيخ النورسي وإن انتقل من التفسير إلى أعمال جليلة أخرى وألف كتباً ورسائل مختلفة لكن القرآن وتفسيره ومخاطبة المسلمين بآياته لم يبارح قط فكر النورسي إلى آخر لحظة من لحظات حياته ، فرسائله كلها تستمد وتستوحي من القرآن الكريم وتستنير من لمعاته ، وبهذا السبب يقال : إن (رسائل النور) تفسير حقيقي للقرآن المجيد ، والشيخ النورسي بنفسه صرح بأنه في جميع مؤلفاته ورسائله لا يعتمد إلا على القرآن فقط دون الرجوع إلى المصادر الأخرى ، كما هو يقول :

"إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر منحدرة من العلوم والفنون ، فلا مصدر لها سوى القرآن ، ولا أستاذ لها إلا القرآن ، ولا ترجع إلا إلى القرآن ... فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن وتنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة" (١٧) .

فحقاً كان الشيخ النورسي رائداً لحركة الرجوع إلى القرآن الكريم ، وداعياً إلى التمسك بالكتاب والسنة في تركيا الحديثة .

***

(١٧) ضوابط التدبر القرآني في ضوء رسائل النور ، إعداد : الدكتور يوسف حمداوي ، مقال موجود على الإنترنت .

***

ملاحظة : عندي نسخة منزّلة من الإنترنت للتفسير ، فيمكن أن يكون الفرق في أرقام الصفحات بين النسخة المطبوعة والموجودة على الإنترنت www.nursistudies.com

الإمام الشهيد حسن البنّا

١٤/أكتوبر ١٩٠٦م-١٢/فبراير ١٩٤٩م

إسهاماته في مجال الدعوة والأدب

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

بقلم : الدكتور إحسان الله خان الندوي
كلية التجارة ، جامعة عليكراه الإسلامية – عليكراه – الهند

مقالات البنّا :

هذه مقالات الإمام في رسائل الإخوان المسلمين وجرائدها ، يهدى بها الإخوان والأعضاء إلى طرق عديدة ومناهج مختلفة ، فصارت هذه المقالات من شذرات الذهب استفاد منها الإخوان خاصة وما زال يستفيد منها الناس عامة.

الإخوان المسلمون تحت رأية القرآن الكريم :

هذه خطبة ألقاها الإمام حسن البنا أمام جمع حاشد للشباب في دار الإخوان في ١٤/أبريل ١٩٣٩م في القاهرة ، ذكر فيها من أهداف هذه الجمعية وفرائض الشباب ودعاهم إلى أن يقوموا للقضاء على كل أمر جاء به الغرب ويفسد المجتمع المصري والمسلمين في العالم كما هو يقول : "فهي من مهمتنا أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات ، التي حرقت الشعوب الإسلامية ، فأبعدتها عن زعامة النبي الكريم ﷺ وهداية القرآن الكريم ، وحرمت العالم من أنوار هديها ، وأخرت تقدمه مئات السنين ، حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا ، ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها في أرضها ، وسنغزوها في عقر دارها ، حتى يهتف العالم كله باسم النبي الكريم ﷺ ، وتوقف الدنيا بتعليم القرآن ، وينتشر ظلّ الإسلام الوارف على الأرض وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده ، فلا تكون فتنة ويكون

الدين كله لله : ﴿ وَلِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ * وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ * وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٧) .

وجعل العدة لتحقيق هذا المنهاج : "أن عدتنا هي عدة سلفنا من قبل ، والسلاح الذي غزا بها زعيمنا وقدوتنا محمد رسول الله ﷺ وصحابته مع العالم ، مع قلة العدد والمورد وعظيم الجهد ، والسلاح الذي سنحمله لنغزو به العالم من جديد" (٥٨) .

مذكرات الدعوة والداعية :

عندما يلقى النظر العميق على كتب ألفت و وضعت في سير ذاتية لأصحاب الفكر والدعوة والأدباء والمثقفين يتجلى لنا أن هذا الكتاب يختلف عن الكتب الأخرى ، فهذا يختلف عن حياتي للدكتور أحمد أمين و "أنا" للأديب البارع الأستاذ محمود عباس العقاد ، و "الأيام" للكاتب المصقاع و وزير المعارف الأسبق لمصر الدكتور طه حسين والمذكرات للعلامة محمد كرد علي والمذكرات السياسية للدكتور محمد حسين هيكل و "مذكرات سائح للشرق الأوسط" للعلامة السيد أبي الحسن الندوي .

فهذا الكتاب ليس بسيرة ذاتية لمؤلف وداعية ، يرى القارى فيه التجارب الذاتية والانطباعات النفسية ، بل يرى فيه تاريخ رجل وتاريخ مدرسة ، ويجد فيه تاريخ جمعية الإخوان المسلمين كاملاً ولا يحتاج إلى مزيد من التفاصيل حول هذه الجمعية آنذاك ، و وقف المؤلف قلمه على المجتمع والأفراد الذين كانوا يعملون الخير والصلاح ويدعون إلى البرّ والمعروف ، والطبقة الحاكمة على بلاد مصر ، والأحداث التي كانت تجرى في البلاد المتجاورة والقضايا الإسلامية ، ويقدم المؤلف كل شئ فيه بالإبانة والتفصيل .

---

(٥٧) حسن البنا – الإخوان المسلمون تحت راية القرآن : ص/١٢-١٣ .

(٥٨) أبو الحسن علي الندوي – الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا : ص/١٦-١٧ .

ولما قرأ سماحة العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي هذه المذكرات فقال : "فهو ليس ككل كتاب ، ومؤلفه ليس كالمؤلفين ، وموضوعه ليس كالموضوعات التي يعالجها الكتاب ويتناولها المؤلفون والمحترفون في كل حين وفي كل مكان ، ويتهيب رجل مثلى في قلة بضاعته في العلم والعمل وفي تخلفه في ميدان الإصلاح والكفاح وفي مجال التربية والإخراج ، وفي حلبة التضحية والمحنة ، أن يتقدم للكتابة والتعليق على هذا الكتاب ومؤلفه العظيم" (٥٩) .

لأن هذا المؤلف يدعو إلى حياة كريمة فاضلة ، وإلى مدنية سليمة صالحة ، وإلى مجتمع رشيد عادل ، وإلى إيمان عميق جديد ، وإلى إسلام قوى حاكم ، ويرفع بكل ذلك صوتاً مدوياً عالياً ، يضطرب به الركب وتهتز به مشاعره وعواطفه وقيمه ومفاهيمه ولا يستطيع أن يتغافل عنه أو يتجاهله أو يستخف به ويستمر في سيره غير مقبل عليه أو ملتفت إليه ، بل يخضع له عدد كبير من أعضائه فينشقون عنه ويلتحقون بهذا الداعية ، فيجعل منهم ركباً جديداً يثق بنصر الله ويسير على بركة الله عزّوجلّ .

وأن كل من يقرأ هذا الكتاب سليم الصدر ، مجرد الفكرة ، بعيداً عن العصبية والمكابرة ، يقتنع بأنه رجل موهوب مهيب ، وليس من سوانح الرجال ولا صنيعة بيئة أو مدرسة ولا صنيعة تاريخ أو تقليد ، ولا صنيعة اجتهاد ومحاولة وتكلف ولا صنيعة تجربة وممارسة ، إنما هو من صنائع التوفيق والحكمة الإلهية والعناية بهذا الدين وبهذه الأمة والفرس الكريم الذي يهيأ لأمر عظيم ولعمل عظيم في زمن تشتد إليه حاجته وفي بئية تعظم فيها قميته (٦٠) .

وأخيراً كتب العلامة الندوي من عصارة دراسته القيمة وانفعاله العميق :

---

(٥٩) أبو الحسن علي الندوي – الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا : ص/١٥ .

(٦٠) المصدر المذكور : ص/١٨-١٩ .

"ألفيته كتاباً أساسياً ، مفتاحاً رئيسياً لفهم دعوته وشخصيته ، وفيه يجد القارئ منابع قوته ومصادر عظمته وأسباب نجاحه واستحواذه على النفوس وهي سلامة الفطرة ، وصفاء النفس وإشراق الروح ، والغيرة على الدين ، والتحرق للإسلام ، والتوجع من استشراء الفساد ، والاتصال الوثيق بالله تعالى ، والحرص على العبادة ، والخلوة في الأسحار ، والاتصال المباشر بالشعب وعامة الناس في مواضع اجتماعهم ومراكز شغلهم وهداياتهم ، والتدرج ومراعاة الحكمة في الدعوة والنشاط الدائم والعمل الدائب" (٦١) .

حسن البنّا ... شاعراً :

قد وردت للشيخ البنا من أشعار لا تكفى للدلالة على أنه كان شاعراً كبيراً ، لأنه ذكر مرة في مذكراته حول حادثة ، وهي وفاة فريدبك ، فيذكر الشيخ العنوان : (ذكريات وشعر) : "ولا زلت أذكر يوم دخل علينا أستاذنا الشيخ محمد خلف نوح والدموع تترقرق على عينيه فسألناه الخبر ؛ فقال : مات اليوم (فريدبك) وأخذ يحدثنا عن سيرته ، وكفاحه وجهاده في سبيل الوطن حتى أبكانا جميعاً ، وأوحت إلى هذه الذكرى ببضعة أبيات ، أحفظ مطلعها وشطراً آخراً

أفريد نم بالأمن والإيمان ... *** أفريد لا تجزع على الأوطان

أفريد تفديك البلاد بأسرها *** .....

ولا زلت أذكر أحاديث الناس حوله في لجنة ملز وإجماع الأمة على مقاطعتها ، وكيف كان هذا الشعور فياضاً غامراً حتى إنه يدفع تلميذاً في الثالثة عشرة إلى أن يقول :

يا ملز ارجع ثم سل *** وفد باريس أقام

و ارجع لقومك قل لهم *** لا تخدعوهم يا لئام

(٦١) أبو الحسن علي الندوي – الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا : ص/٢٤-٢٥ .

في قصيدة طويلة لا أذكر منها إلا هذه الأبيات .

ولقد جمعت من هذه البواكير الوطنية الفجة ديواناً كبيراً ، كان نصيبه الحرق الكامل بعد ذلك في فترة القصوف التي لازمت عهد مدرسة المعلمين" (٦٢) .

كما ذكر الشيخ أنه جمع ديواناً كبيراً من أشعاره ولكنه أصاب به الحرق وضاع وصارت خسارة عظيمة للشعر والأدب ، لو كان موجوداً ، لوضح مكانة الشيخ البنا في ميدان الشرع ، ويصعب على باحث أن يعرض ويبحث الشاعر بغير أشعاره .

الشيخ البناء في ضوء أسلوبه وعبارته :

بعد دراسة عميقة لهذه الرسائل والخطب والمذكرات يتجلى لنا أن الإمام كان يقدر على مقدرة بيانية فائقة متحدثاً وكاتباً وخطيباً ، وقد أشار إلى هذه الموهبة البيانية الأستاذ أحمد أنور الجندي : "إنه كاتب من أبرع الكتاب ومن أقواهم قدرة على تصوير ما بنفسه ، ومن أبلغهم عبارة ، وفي أشدهم تأثيراً في النفوس بالألفاظ الكريمة والمعاني المركزة ، يتكلم فيفهمه الكبير والصغير ، العالي الثقافة والأمي والجاهل ... وفي صوته عمق ، وللسانه سحر ، وإذا تكلم يلاعب بالألباب وقد أمده الأدب العربي على شتى أصوله بفيض هائل من الآيات والأحاديث وأمجاد الجهاد الإسلامي يطلقها من فمه في أنسب وقت وأنسب مكان فيكون ، فعل القذائف في معارضيه ، وقدر المؤلف عدد الخطب التي ألقاها في سبعة عشر عاماً بما لا يقل عن ثلاثين ألف خطبة ، وعدد الجلسات التي عقدها بمثل ذلك أيضاً" .

وقال أحمد أنس الحجاجي في كتاب : (روح وريحان) : إنه كاتب مجيد لا يشق له غبار ... بلغ من جزالة لفظه وتسلسل فكرته وعذوبة أسلوبه

(٦٢) حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية : ص/٢٣-٢٤ .

وسهولة مأخذه مستوى كبار الكتاب البارزين وأعلام رجال الأدب وحملة القلم ، يكتب المذكرات والمقالات والنشرات والرسائل لا يعجزه موضوع عن التناول ، يعالج المسائل الاجتماعية والثقافية والفقهية والقانونية والتشريعية ، كما يتناول مسائل الدين من ناحيتها الفقهية الخالصة ، شأنه في الخطابة حين يتناول أي موضوع في أية ناحية من النواحي بالشرح أو التعليق في غير اقتصار على ناحية في النواحي ، فعبقريته هيأته لكل الثقافات ، واعترف به التاريخ خطيباً ممتازاً بارعاً ، وأقول بأنه كاتب ممتاز موهوب .

وهو في فصاحته ونصاعة حجته وبلاغة قوله وحسن اختيار لفظه ، خطيب ممتاز لا يزاحمه مزاحم ولا يرتفع بجواره صوت ولا يباريه في ميدانه أحد من رجال عصره ، يمتلك ألباب سامعيه ويهز مشاعرهم ، وله طابعه الخاص وسمته الثابتة و وسائله المبتكرة واتجاهاته المستقلة ولا يقلد أو يجارى أحداً من السابقين واللاحقين ، يسنده في هذا علمه الغزير وقدرته الفائقة على جمع شتات أطراف أي موضوع مهما كان متشعباً ، يجمعه جمعاً يدنيه من ذهن السامع ويقربه إليه بلا اقتضاب ولا إخلال وبسعة وإفاضة ، فهو دائرة معارف إسلامية واسعة كاملة يتحدث في أي موضوع بلا إعداد مهما يكن نوع هذا الموضوع ، ويتخير في أحاديثه الأسلوب السهل ، ويعمد إلى التعابير المناسبة لسامعيه" (٦٣) .

أذكر مثالاً رائعاً أدبياً من كتابته وأسلوبه ، فهذه قطعة من مقال له عنوان : (طريقان) يبين فيه السجع الرنان وتوازن المقاطع وإثارة العواطف : "طريقة ممهدة ظليلة ، مشرقة جميلة ، تحف فيها الروح والريحان ، يحيط بها الجمال من كل مكان ، وأولها اليقين والإيمان مراحلها الاستقامة وطاعة الرحمن

(٦٣) انظر للتفاصيل : إسحاق موسى الحسيني – المصدر المذكور : ص/٦٤-٦٧ ، وأنور الجندي – حياة رجل وتاريخ مدسة : ص/٢٨٨-٢٨٩ .

ونهايتها الجنة والرضوان ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وطريق مئفرة ، أولها الجحود و النكران ، مراحلها الإثم و العصيان ، و آخرها الجحيم والنيران" (٦٤) .

استشهاده :

في مساء يوم السبت بتاريخ ١٢/من شهر فبراير ١٩٤٩م طلب الأستاذ الناغي عضو مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين إلى الأستاذ محمد الليثي رئيس قسم الشباب بالجمعية أن يذهب إلى دار الشيخ البنّا ويدعوه إلى مقابلته في الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم بدار الجمعية لكي يبلغه نتائج هامة وسارة عن المسائل المتعلقة الخاصة ، بجماعة الإخوان المسلمين لأنه مكلف بإبلاغه ذلك من قبل قريبه الأستاذ إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزارة آنذاك ، فذهب الأستاذ الليثي إلى منزل الأستاذ البنّا في الساعة الثانية بعد الظهر وأخبره بذلك ، فقال له الأستاذ البنّا : إن هؤلآء الناس نيتهم سيئة (٦٥) وإنهم لا يريدون أي تفاهم ، ولقد بلغني الآن أنهم اعتقلوا الرجل الطيب المسن الذي كنت قد أخبرته سأسافر عنده بعد يوم أو اثنين ، وعلى كل حال فإني سأحضر لمقابلة الأستاذ الناغي .

وذهب الأستاذ الناغي في الموعد المحدد وبعد انتهاء المقابلة التي قال عنها : إنه لم يخرج منها بنتيجة تذكر إلا أن الناغي أعاد على مسامعه مسألة تسليم الأسلحة ومحطة الإذاعة ؟ طلب الأستاذ البنّا سيارة أجرة وكان ذلك في الساعة الثامنة والثلث ، وكان معه صهره الأستاذ عبد الكريم منصور المحامي ، وكان يرافقه الأستاذ الليثي وفي هذه الأثناء جاء خادم وأبلغ الليثي أن التليفون يطلبه

(٦٤) إسحاق موسى الحسيني – المصدر المذكور : ص/٢٦٧ .

(٦٥) محمد الغزالي – في موكب الدعوة : ص/٧٩ .

ولكنه رافق الشيخ إلى أن ركب السيارة ومعه صهره ، ثم دخل دار الجمعية يتحدث في التليفون وإذا سمع طلقات نارية فترك التليفون ، وذهب إلى الخارج ليستطلع مصدر هذا الصوت ، فوجد في مواجهة الدار شاباً طويل القامة ، نحيل الجسم ، يلبس جلبابا ويضع على رأسه كوفية بيضاء ، ويمسك بيده مسدساً ، فصاح الليثي طالباً إمساكه ، فأطلق عليه عيارين ناريين أخطأه أيضاً ، وأصاب حائط دار الجمعية ، ثم جرى وراء الليثي في الشارع وأطلق عليه عيارين ناريين أخطأه أيضاً ، وبعد أن استنفد الطلقات النارية اتجه نحو الرصيف الآخر حيث لحق به شخص آخر ، وركبا سيارة سوداء انطلقت بهما في شارع المملكة وكان الأستاذ وقتئذ قد نزل من السيارة ودخل إلى الجمعية ، وهو يقول : "قتلت قتلت" وعندئذ دخل محمد الليثي إلى الجمعية فوجد سماعة التليفون ما زالت مرفوعة ، وقد اتضح له أن المتحدث له الصاغ محمد الجزار الظابط بالعلم السياسي ، وكان ما زال منتظراً حتى يتحدث معه ! فصاح محمد الليثي في التليفون قائلاً : إن الأستاذ البنّا قد أطلق عليه الرصاص أمام الجمعية ، فقال له الجزار متسائلاً وهل مات أم لا يزال حياً ؟ وفي هذه الأثناء ذهب الأستاذ البنّا إلى دار الإسعاف وذهب على أثره إلى هناك محمد الليثي ، فوجد الأستاذ يكرر الشهادتين ، وهناك رأى محمد الليثي شاباً أسمر اللون ، يلبس جلبابا وطربوشا ، وقال : إنه كان بالقرب من مكان السيارة التي هرب عليها الجناة وأنه التقط رقمها وهو ١٩٧٩ ، وقد تبين بعد البحث في إدارة المرور أن السيارة المذكورة هي سيارة القائم مقام محمود عبد المجيد مدير إدارة المباحث الجنائية بوزاره الداخلية وقتئذ وقد بذلت محاولات مع الشاهد لتغيير رقم السيارة قام بها الصاغ الجزار تارة بالإغراء بالمال ، وأخرى بالخمر، وثالثة بالنساء ، وأخيراً بالتهديد كما ورد في نفس الجريدة على لسان الجزار : "اعلم أن قاتل البنّا حرّ طليق ، وسيظل حرّاً طليقاً ، وفي وسعه أن يطيح برأس كل

شخص يقف في سبيله أو يضربه ، وافت عندك أولاد فحرام عليك" (٦٦) .

وإذا كانت حالة المحامي غير خطيرة أكثر من الشيخ حسن البنّا ، وتعاون المحامي بوصول الشيخ البنا إلى السيارة التي أمام مكتب جمعية الشبان المسلمين ، و وصل الشيخ البنا للإسعاف إلى المركز الرئاسي للإسعاف ، وكانت سيارة الإسعاف المطلوبة غير موجودة ، و وصلت السيارة بجثمان الشيخ البنّا إلى مركز الخدمات الإسعافية شارع فؤاد الذي لا يبعد عن جمعية الشبان المسلمين إلا ١٥٠/متراً .

وإذا وصلت السيارة إلى مركز الخدمات الإسعافية قد نزف من دم الشيخ حيث انتقل الشيخ بالنقاهة وقد ضيع السابق من قوته مما رأى ، فسقط مغشياً عليه ، ونظم أصحاب المركز للشيخ وصهره من الإسعاف ، ولكن بعد ساعات اتفق الأطباء من نقله إلى مستشفى (قصر العيني) لاسترداد الصحة والعافية ، لأن حياته كانت عرضة للخطر (٦٧) .

نقل بعد ذلك الإمام إلى المستشفى ، فاستقبله خفر الطوارئ هناك وكانت على رأسهم الممرضة منى جمعة ، ثم تمّ استدعاء الطبيب على السباعي ، وأيضاً الدكتور محمد الحسني والدكتور عبد الله الكاتب .

وكان رئيس النيابة على رأس المرشد ليأخذ أقواله إلا أن حالته قد تدهورت ، فتركه إلى أولئك الذين أودعوه إلى حيث صارت حالته من التردي والانهيار .

وفي تمام الساعة الثانية عشرة والرابع بعد منتصف الليل غادر الإمام المجدد هذا العالم ، يقول الدكتور رشاد في التحقيقات ما بعد الثورة : "سمعت

(٦٦) الأهرام ، عدد يوم ١٩٤٩/١١/٨م .

(٦٧) انظر للتفاصيل : أنور الجندي – حسن البنا : الداعية الإمام المجدد الشهيد : ص/٢٢١ .

من زميلي الدكتور أحمد شكيب الطبيب الشرعي الـذي أجـرى التـشريح للجثمان : أن البنا ترك ليموت بالنـزيف من شريان منفتح ، وكان من أيسر الأمور إيقاف ذلك النـزيف وإنقاذ حياة ذلك الرجل بمشرط صغير لو تمـت العناية به وإنقاذه وإسعافه في حينه كأي مريض" (٦٨) .

و وقف الوالد الهرم أحمد البنّا الذي جاوز التسعين عاماً ، مذهولاً عندما عرف بخبر وفاة ابنه في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل من أحد الضباط ، وقيل له : لن تستلزم الجثة إلا بعد أن تتعهد بالدفن قبل الساعة التاسعة صباحاً وإلا فإن الشرطة سيحملون الجثة من (مستشفى قصر العيني) إلى القبر مباشـرة فوافقه على ذلك الوالد المنكوب .

وفي ساعات الفجر الأول وصلت الجثة إلى بيت والد الإمـام يغـشيها الحزن والأسى ، فقام الأب نفسه بإعداد جثة ولده للدفن ، يا له من موقف ، لن تنساه مصر بأكملها ، أما نعش الشهيد فرفض رجال الشرطة أن يـسمحوا لأي رجل يحمله إلى القبر ، وحمل النعش ثلاث نسوة على أكتافهن محتسبات ، وعندما ما وصلن إلى مسجد قيسون كان المسجد خالياً بسبب الشرطة حتى لا يصلي على جثمان الشهيد ، ولكن أباه المنكوب صلى عليه صـلاة الجنـازة وحيداً منفرداً ، ومن ثم التقى الإمام التراب في قبره ، وعاد من حيث أتـى ، رحمه الله رحمة واسعة وأدخله في جنات النعيم .

***

(٦٨) مجلة (المجتمع) الأسبوعية ، الصادرة من دولة الكويت ، العدد/١٣٣٨ ، ٣٠/شوال ١٤١٩هـ ، الموافق ١٩٩٩/٢/١٦م .

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي

(٤٤)
(١٨٨٤-١٩٥٣م)

بقلم : محمد فرمان الندوي

الحسد : إذا أنعم الله على أحد بنعمة ومنحه علماً وفضلاً ، وأكرمه بالمال والتكريم والصيت الحسن أو أفاض عليه نعماً دنيوية أو دينية ، فإذا اشتاق رجل إلى نيل هذه النعم بالنظر إليها ، عرف ذلك في الشريعة بالغبطة والمنافسة ، وليس هذا سوء خلق ، بل هو محمود في الشئون الدينية ، لكن إذا لم يحبه ذلك الرجل لأخيه ، ويتمنى أن تزول منه نعم الله كلها سمي ذلك بالحسد ، وقد استنبط هذا الحد أيضاً من القرآن الكريم ، لأن المسلمين قد أنعم الله عليهم بحيث أكرمهم بنعمتي القرآن والإيمان ، فكلما رآهم اليهود احترقوا بغضاً وعداوةً ، قال الله عزّوجلّ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُوْنَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ {النساء/٥٤} ويتمنون أن تزول هذه النعمة من المسلمين ، قال الله عزّوجلّ : ﴿ وَدَّ كَثِيْرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ * لَوْ يَرُدُّوْنَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّاراً * حَسَداً مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ {البقرة/١٥٩} .

الحسد له ثلاثة أنواع :

النوع الأول هو أن يتمنى رجل زوال نعمة غيره ، فلا تحصل لذاك ولا لهذا ، وهذا نوع للحسد مذموم ، فكان المنافقون يودون أن يكون المسلمون كافرين مثلهم : ﴿ وَدُّوْا لَوْ تَكْفُرُوْنَ * كَمَا كَفَرُوْا فَتَكُوْنُوْنَ سَوَاءً ﴾ ، والنوع الثاني هو أن تحصل للحاسد تلك النعمة ، ففي هذه الصورة تكون غايته إحراز هذه النعمة ، لكن إذا لم تسلب تلك النعمة من الآخر لا يجدها الأول ، فتكون نيته أن تؤخذ من الأول وترد إليه ، أما النوع الثالث هو أن رجلاً يريد أن ينال مثل النعم التي أكرم بها أخوه ، لكنه لا يتمنى أبداً أن تسلب من أخيه ، فالنوع

الأول مستنكر ومستهجن ، وفي النوع الثاني لا يكون زوال النعمة هدفاً ولا غاية فلا يسمى حسداً في معنى الكلمة ، لكن القرآن الكريم أشار إليه قائلاً : ﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ {النساء/٣٢} فثبت منه أن النعمة التي يتمتع بها رجل لا يستحسن طلبها بعينها ، فيكون مذموماً ، لكن حصول النعم الأخرى مثلها ليس عيباً ، قال الله عزّوجلّ : ﴿ وَاسْأَلُوْا اللهَ مِنْ فَضْلِه ﴾ {النساء/ } أما النوع الثالث فهو ليس مذموماً بل مستحسن ومحمود في الأمور الدينية ، ويعرف بالمسابقة .

للحسد أسباب ، منها :

١-البغض والعداوة .

٢- الفكرة الخاطئة للاستعلاء الذاتي .

٣- فكرة إجبار رجل الآخرَ على الانقياد والطاعة ، ثم إذا ترك طاعته تمنى زوال شرفه وعزته .

٤- إن الناس تارة يظنون رجلاً وضيعاً ، ثم ينال شرفاً عظيماً فيتعجبون منه ، وبالنظر إلى هذا العجب ينكرون شرفه كما كان الكفار ينكرون رسالة الرسل ، ويقولون : ﴿ أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَّسُوْلاً ﴾ {الإسراء/٩٤} .

٥- إذا كان هدف رجلين واحداً نظر بعضهما بعضاً غبطةً ، ثم إذا حاز أحدهما غايته أساء الآخر ظنه إليه .

٦- طلب المنصب والجاه .

٧- خبث النفس وسوء القلب .

وقد أوجد الإسلام نظاماً عالمياً واسعاً لإبقاء الأخوة بين المسلمين ، فكان يمكن أن تنشأ عاطفة الحسد بكل سهولة ، ولكن جميع درجات وأسباب الحسد تكاد تضمحل في هذه الأخوة العالمية ، فإن السوءات التي تشتت شمل هذه الأخوة حذر منها رسول الله ﷺ وقال : إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ،

وكونوا عباد الله إخواناً {صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر} ونقل الحافظ ابن حجر قول الإمام القرطبي في شرح هذا الحديث : المعنى كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة ، لكن هذه الأخوة لا تقوم إلاّ إذا اجتنب هذه السوءات ، وإلا تنشأ العداوة ، وتفنى جميع خصائص الأخلاق التي هي نتيجة الأخوة ، يكتب الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث ، كأنه قال : إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخواناً ، ومفهومها إذا لم تتركوها تصيروا أعداء ، ومعنى كونوا إخواناً اكتسبوا ما تصيرون به إخواناً مما سبق ذكره ، وغير ذلك من الأمور المقتضية لذلك نفياً وإثباتاً {فتح الباري : ج/١٠، ص/٤٠٣} .

وأخطر هذه السوءات الحسد ، لأنه لا يخلو منه قلب ، وقد أشار إلى ذلك حديث رسول الله ﷺ : الذي رواه عبد الرزاق بن معمر في مصنفه : عن إسماعيل بن أمية قال ، قال النبي الكريم ﷺ : ثلاث لا يعجزهن ابن آدم ، الطيرة وسوء الظن ، والحسد ، قال : فينجيك من الطيرة ألا تعمل بها ، وينجيك من سوء الظن ألا تتكلم به ، وينجيك من الحسد ألا تبغي أخاك سوءاً . {مصنف عبد الرزاق ، باب الطيرة : ١٩٥٠٤} .

وهذا المرض إذا ظهر عملياً قضى على جميع مزايا الأخلاق ، وقد حث النبي الكريم ﷺ على اجتناب هذا المرض قائلاً : إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب {سنن أبي داؤد ، كتاب الأدب في الحسد} فعلم منه أن الحسد أخطر شيئ خلقياً ، لذلك حذر الله النبي الكريم ﷺ والمسلمين جميعاً من فداحة هذا الخطر : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ {الفلق/٥} {سيرة النبي : ج/٦ ، ص/٣٤٥-٣٤٩} .

الـــرفـــث :

الرفث له أنواع ، نوع يتعلق بالقوة الحيوانية ، ويكون مرتكبه عامةً شباباً شراب خمر ، ويعرف هذا باللغة العربية بالرفث ، و ورد في القرآن

الكريم النهي عنه : ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوْقَ وَلاَ جِدَالَ فِيْ الْحَجِّ ﴾ {البقرة/١٩٧} وخص زمن الحج هنا لأنّ هناك اجتماعاً للرجال والنساء وتكون المواظبة على الحجاب أمراً صعباً ، فكان من الممكن أن يكون مثل هذا الكلام بكل حرية وانطلاق .

والنوع الثاني للرفث ما يتعلق بالقوة الغضبية ، ويعرف بالسب والشتم ، وتحدث مثل هذه الصورة بمناسبة الحرب والقتال ، وإن زمن الحج يشهد اجتماعاً عاماً ، ويخشى وقوع النـــزاع والخصام في هذه الحالة ؛ فحذر الله الناس من كلمة الفسق ، قال الله عزّوجلّ : ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوْقَ وَلاَ جِدَالَ فِيْ الْحَجِّ ﴾ وتوجد للسباب صور مختلفة ، تارةً يسب الإنسان والدي رجل ، ويطعن في نسبه ، وتارةً يبدي مساوئه ، حتى إذا كان في مرض مثل البرص والجذام لمزه ، وإذا صدر منه عمل سوء أو عومل معه معاملة سيئة أبداه ، فقد جمع القرآن الكريم هذه الصور كلها مجملةً في كلمة واحدة ، قال الله عزّوجلّ : ﴿ لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إلاَّ مَنْ ظُلِمَ ﴾ {النساء/١٤٨} .

ذكرت في القرآن والسنة مصالح وحكم اجتناب السوء من القول في مواضع مختلفة ، منها : أن الناس يجاوزن الحدود في السباب ، فإذا سب رجل سبةً واحدةً سبه الآخر سبتين ، وإذا لعن رجل والد رجل ، لعن الآخر والديه ، فأحسن صورة للأمان من تعدي الآخر أن لا يسب رجل رجلاً ، ذكر الله عزّوجلّ هذه النكتة في القرآن الكريم : ﴿ وَلاَ تَسُبُّوْا الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ * فَيَسُبُّوْا اللهَ عَدْوًا بِّغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ {الأنعام/١٠٨} وكشف عنها النبي الكريم ﷺ في حديث قائلاً : إنّ من أكبر الكبائر : أن يلعن الرجل والديه قيل : يا رسول الله ! وكيف يلعن الرجل والديه ، قال : يسب الرجل أبا الرجل ، فيسُبُّ أباه وأمه . {صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب لا يسب الرجل والديه} .

(سيرة النبي : ج/٦ ، ص/٣٤٩-٣٥٣)

الآيـــة :

تسمى الأعمال التي تصدر من الأنبياء كخارق للعادة معجزة ولكن هذا المصطلح لا يصح لأسباب عدة .

أولاً- لم ترد في القرآن والسنة هذه الكلمة ، وإنما الذي ورد في معناها كلمة (الآية) و (البرهان) وكلتاهما تدلان على مفهومهما بكل وضوح ، أما المتقدمون من المحدثين فقد استعملوا مكانها كلمة (الدلائل) و (العلامات) التي ترادف ألفاظ القرآن المستعملة في هذا المعنى .

ثانياً- أن كلمة (المعجزة) بدأت تحمل مفاهيم خاصة لا تصح في أي حال ، مثلاً تعتقد طبقة الجمهور أن (المعجزة) هي عمل يقوم به النبي نفسه ، ويصدر ذلك من جوارحه المادية ، كما أن كلمة (المعجزة) سببت تشويه الحقيقة وجعلت الناس يؤمنون بأن الإعجاز داخل في حقيقة النبي ، فلا يكون النبي نبياً بدون أن تظهر على يديه معجزة ، وهذا خطأ جسيم يقع فيه كثير من الناس .

ولذلك فإننا نحتاج إلى كلمة جامعة تشمل جميع نواحي النبوة ، الخارقة منها وغير الخارقة ، وكيفياتها ومشاهداتها وخواصها أجمع ، أما كلمة : (المعجزة) فلا تسع هذه المعاني كلها .

ولقد ذكر القرآن الكريم الأحوال الروحية للأنبياء أو الدلائل والبراهين بأقوى تأثير واعتبار ، وكذلك الصحف السماوية الأخرى ذكرتها في قصص الأنبياء و وقائعهم ، فإن (سير الملكوت) و (المكالمة الإلهية) و (رؤية الملائكة) و (الرؤيا الصادقة) و (إجابة الدعوات) ، و (طوفان نوح) و (النار الباردة) و (عصا موسى) و (نفس المسيح) وغير ذلك من أحوال وكيفيات شتى ذكرت في القرآن الكريم غير مرة ، كما ذكرت نتائجها أيضاً بالتفصيل ، وكل ذلك يدل على أنها لم تزل معقودة بسير الأنبياء في كل زمان حتى أصبحت كجزء لازم لحياتهم .

إلى رحمة الله تعالى:

حرم شيخ الإسلام العلامة السيد حسين أحمد المدني

في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

أفادت الأنباء بنبأ وفاة حرم شيخ الإسلام العلامة السيد حسين أحمد المدني رحمه الله ، ليلة الجمعة ١٥/من شهر شعبان المعظم ١٤٣٣هـ الموافق ٦/من شهر يوليو ٢٠١٢م عن عمر يناهز مائة عام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كانت الفقيدة قد عاشت مع العلامة المدني ردحة من الزمن ، فتعلمت من خلال زوجها العظيم جميع آداب الإسلام وفضائل الحياة في كل مجال من المجالات الفردية والجماعية ، فكانت مدرسة تعلم فيها جميع أفراد الأسرة التوجيهات الدينية والتربوية ، وتربى فيها الصغار والكبار فنشأوا على خلال طيبة ، ومعرفة بحقوق الناس من الجيران والضيوف والعلماء والطلاب ومن إليهم ، ومعرفة حقوق الله تعالى على العباد ، من الفرائض والواجبات والمستحبات ، والتطوعات ، والعقائد والمعاملات .

كان الله سبحانه وتعالى قد أكرمها بالتعاون على البر والتقوى ، والإحسان إلى أصحاب الحاجات ، وإطعام الطعام للفقراء والمساكين ، وتفقد أحوال أصحاب الاحتياجات ، كيف لا ، وقد كانت تمثل الإسلام مع شيخ الإسلام وبعده إلى أكثر من نصف قرن ، فكانت حياتها نموذجا للرجال والنساء جميعا .

إنها خلفت وراءها أسرة حافلة بأهل العلم والفضل والتقى ، منهم فضيلة الشيخ الجليل السيد محمد أرشد المدني وفضيلة الشيخ السيد محمد أسجد المدني ، وفضيلة الشيخ السيد محمود المدني حفيداً ، وقد كان والده فضيلة العلامة الشيخ السيد محمد أسعد المدني رحمه الله ، ابن أمه الأولى ، إلا أنه لم يفقد شفقتها وعنايتها ، بل الواقع أنها سهرت على تربية جميع أفراد الأسرة المدنية ، التي فقدت بوفاتها ، أما حنونا ، ومربية جليلة ، وجدة محنكة ، ومدرسة علم وصلاح ، وأسلوب تربية صالحة ، ودعوة إلى الفضائل .

تغمدها الله تعالى بواسع رحمته وغفر لها زلاتها وتقبل صالح أعمالها ، وأكرمها بجنات ونعيم ، وألهم ذويها والجميع الصبر والسلوان .

والدة الأخ الأستاذ خالد فيصل إلى رحمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة والدة الأخ الأستاذ خالد فيصل الندوي المسئول عن مكتب كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء ، وذلك مساء الاثنين ٩/من شهر يوليو ٢٠١٢م الموافق ١٩/من شهر شعبان ١٤٣٣هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ نعزي الأخ خالد الندوي و والده الجليل على هذا الحادث الحزين ، ندعو الله جل وعلا أن يتغمد الراحلة الكريمة بالرحمة والمغفرة ، ويتقبل صالح عملها ويكرمها بجنات ونعيم ، ويلهم من وراءها من أهل الأسرة جميعا الصبر والسلوان ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ * فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
MOB.091-9415546882
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظ الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: "البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٦ عاما بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السابع والخمسين. والحمد لله. ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الاسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)